

مظاهر ضعف تلقي الشعر العربي المعاصر في العراق

أ. م. عباس عودة شنيور
كلية التربية الأساسية / جامعة ميسان
أ. م. د. حسين عبود الهلالي
كلية التربية / جامعة البصرة

المقدمة:

الشاعر، إلى أوضاعه النفسية والاجتماعية، بل الوضع التاريخي الذي يمر به مجتمعه، وهو فرد منه، أخذ تلقّي الآخرين لقصيدته يقوى ويضعف بحسب هذه المؤثرات. كذلك ما يؤثر في المتلقي من أوضاع اجتماعية واقتصادية وثقافية، وما يترتب عليها من حالة نفسية يمرّ بها. كل ذلك أخذ يؤثر في عملية تلقي الشعر قوّة وضعفاً.

إن تلقي الشعر العربي لم يكن بالصورة المزدهرة في عصوره كلها، ولم يكن يسير على وتيرة واحدة لا من حيث أنواع المتلقين، ولا أعدادهم، ولا طبيعة ونوع استجاباتهم، فقد تفاوت تلقي المجتمع العربي للشعر بحسب المؤثرات التي تؤثر في المنشئ والمتلقي، وابتداء من دوافع نظم الشعر، والبيئة الثقافية التي يعيشها

والحق أن كثيراً من الباحثين قد أشّر ظاهرة ضعف تلقي الشعر في هذا العصر، إلا إن هذه الإشارات لم تخرج، عن الكلام النظري. وهنا نحاول أن ننظر إلى ميدان المجتمع من حيث علاقته بالشعر الذي كان يوماً ما الهواء الذي يتنفسه العربي، لذا كان علينا بيان تفاوت مستوى تلقي الشعر في العصور المتأخرة والحديثة مبحثاً أولاً، ثم الحديث عن ضعف التلقي ظاهرة عالمية لم تقتصر على المجتمع العربي مبحثاً ثانياً، وأخيراً علينا ملاحظة الظواهر الثقافية الاجتماعية التي تسود المجتمع العربي مما له صلة بضعف تلقي الشعر، وتعزيزها بنتائج عدة استبانات أعدت لهذا الغرض، تعتمد السؤال المباشر لأعداد مقبولة من المتعلمين لا سيما الطلبة، لتوضيح علاقة المجتمع بالشعر، وموقفه منه، وطبيعة تلقيه، إن كان مجتمعنا ما يزال يتلقى الشعر ويستجيب له، ومن ثم يؤثر فيه ذوقاً وأفكاراً وسلوكاً، كما كان مجتمعنا القديم قد تلقى أشعار عصوره المختلفة التي مرّت على الشعر العربي، وأثرت فيه ذوقاً وأفكاراً وسلوكاً، بل امتد تأثيرها في لاوعي المجتمع إلى عصرنا هذا، فأصبح جزءاً لا يمكن الغض منه من ثقافة مجتمعنا المعاصر.

المبحث الأول : تفاوت مستوى تلقي الشعر في المجتمع العربي

كان ازدهار تلقي الشعر ينطبق تماماً على واقع المجتمع العربي في العصر الجاهلي والعصور الإسلامية الأولى بوضوح كبير، وسحبه على المجتمع العربي في عصور لاحقة كالعصور المتأخرة وعصر العثمانيين والمماليك فيه شيء ليس هيناً من النظر والتأني، على الأقل في أعداد المتلقين.

إذ لا يمكن أن يكون الدعم والتشجيع الذي كان يجده الشاعر من الملوك والزملاء والقادة في العصور الزاهرة، هو نفسه في العصور اللاحقة. وقل مثل ذلك عند عامة الناس، من ترديد للأشعار وروايتها والاستشهاد بها في مواقف حياتهم المختلفة، اللهم إلا فئة العلماء والأدباء، الذين ربّما زاد تلقيهم للشعر كمّاً ونوعاً. فكلما مرّت السنوات، زاد رصيد ديوان الشعر العربي من القصائد والشعراء، ومن ثم يزيد هذا الرصيد عند أفراد هذه الفئة، كما أن انكفاء العلماء والأدباء على ذواتهم، وابتعادهم شيئاً عن الحياة العامة، لاسيما السياسية والإدارية، جعلهم عاكفين على التحصيل والدرس، بما لم يتهياً لسابقيهم، لذلك كثرت التصانيف والتآليف في الشرح والتفسير، وتهميش المتن، وتهميش التهميش⁽¹⁾، وقد نجد ذلك حاصلاً حتى في نظم الشعر، وبه نفس تخميس القصائد القديمة وتشجيرها على سبيل التضمين.

أما مشكلة الملوك والزملاء والقادة فهي مشكلة عامة الناس نفسها، مع اختلاف النسبة. فالملوك وحاشياتهم غالباً لم يكونوا عرباً، وكثير منهم لا يعرفون العربية، فلا يجدون في نفائس القصائد إلا ضرباً من اللغو المفروض على أسماعهم، وما قبولهم لمديح الشعراء إلا ارتياح للثناء الذي سيشيع⁽²⁾، وحفاظ على تقاليد البلاط. وعامة الناس بدأوا يتكلمون لهجات عامية دارجة مبتعدين شيئاً فشيئاً عن لغة الشعر.

وإذا كان الشعر شيئاً تحبش به النفوس فتلقيه على أفواه الشعراء، بما لا يحتاج إلى دفع سلطاني أو دعم أميري، فإن حاجة الشعراء لتلقي عامة الناس ولاستجابتهم مما يؤثر تأثيراً كبيراً في إنتاج الشعر، وبهذا نفس ظهور أنماط

(1) ينظر الشعر العراقي أهدافه وخصائصه..: 23. والشعر العراقي في القرن السادس

الهجري: 33 34.

(2) ينظر الشعر العراقي أهدافه وخصائصه..: 32.

من الشعر اتخذت من العامية لغة في بنائها كالزجل والقوما، أو رصّعت الفصيح المعرب بشذرات من العامية أو الأعجمية ككثير من الموشحات الأندلسية والمشرقية، وذلك محاولة من الشعراء لإعادة تلقي الشعر لعصوره الذهبية، باتخاذ هذه الأساليب وسيلة للدخول إلى قلوب العامة، وعدم الاكتفاء بإيصال صوت القصيدة إلى أسماعهم.

وللإنصاف فإن هذه الإجراءات لم تكن لتزيد من عدد أفراد فئة الملوك والزعماء والقادة ولا من أفراد فئة العامة في تلقي الشعر قياساً لأعداد أفراد الفئتين في العصور الزاهرة للشعر العربي، إلا أنه في الوقت ذاته لا يدفعنا إلى القول بانعدام تلقي العامة للشعر تماماً. وذلك لأسباب منها:

1- أن الشعر العربي مازال في هذه العصور يحمل المضامين والأغراض القديمة ذاتها، مدحاً وهجاءً وفخراً وغزلاً وما شابه، مما هو موجه لمتلقي مقصود وعامة من المتلقين، بل زاد عليه في ذلك ما هو أقرب لمشاغل وهموم عامة الناس من موضوعات شكوى الزمان، والفقر والحرمان، والتسليم للقدر، ووصف لأحوال الناس وصغائر تفاصيل حياتهم⁽¹⁾. وزاد الشعراء من قصائدهم في التعبير عن عقائد العامة من الناس من أشعار الأذكار والاستغفار، وما يتلى في حلقات المتصوفة من مديح للرسول وآله صلوات الله تعالى عليهم أجمعين، ومراثي الأئمة الأطهار لاسيما الإمام الحسين عليه السلام في أيام عاشوراء⁽²⁾، مما هو طقوس ومراسيم يومية تقريباً يمارسها الناس عامة، وبما يقرب الشعراء وقصائدهم إلى عامة الناس، ويجعل أشعارهم متداولة بينهم.

(1) ينظر في أدب العصور المتأخرة: 23 . 38.

(2) ينظر الشعر العراقي أهدافه وخصائصه...: 74 . 104.

2. لقد بالغ الشعراء إلى حد اللعب بالتلوين الصوتي ومن ثم الإيقاعي للشعر في هذه العصور، طلباً لجذب إصغاء عامة الناس، فكثرت الجناس والطباق والترصيع ورد العجز على الصدر، وغيرها من ألوان البديع، وقد ظهر ذلك متكلفاً تتضح فيه الصنعة ⁽¹⁾، وعلى القياس ذاته، حاول الشعراء تبسيط اللغة، ف((الصفة الغالبة على ألفاظ الشعر ومعانيه هي الوضوح الشديد والبعد عن التعقيد بنوعيه اللفظي والمعنوي، فلا يحتاج القارئ المتوسط الثقافة إلى إجهاد فكر أو مراجعة معجم أو كتاب من كتب اللغة ليدرك ما يعبر عنه الشعراء))⁽²⁾ بما وصل بها أحياناً إلى حد الركاكة والعامية ⁽³⁾، نزولاً عند إحساسهم بنفور العامة من الشعر الرصين الجزل، لجهلهم اللغوي، ورغبة منهم في اجتذاب الأسماع.

3. شيوع نظم الشعر بين مختلف طبقات الشعب، وظهور أجيال من الشعراء من ذوي المهن الشعبية بينهم الحداد والحجام والجزار والدهان، وأمثالهم ممن يعملون في الأسواق ويتعاملون مع عامة الناس، فجاءت أشعارهم تصويراً دقيقاً صادقاً لمشاعرهم وعلاقتهم بجوانب الحياة المختلفة التي يعيشونها، ويعيشها عامة المجتمع، بما جعل من الشاعر لسان حال الجماعة التي يعيش بينها.

لهذا ولأسباب أخرى لا يمكن أن يكون عامة الناس قد طلقوا الشعر العربي ونسوه رغم فتور علاقتهم به، وتفاوت مستوى هذه العلاقة قوة وضعفاً،

⁽¹⁾ ينظر الشعر العراقي في القرن السادس الهجري: 337.328، وفي أدب العصور المتأخرة: 38 . 43.

⁽²⁾ الشعر العراقي في القرن السادس الهجري: 285.

⁽³⁾ ينظر المصدر نفسه: 298 . 308.

بحسب الظروف العامة المؤثرة فيها، من زمن إلى زمن، ومن فرد إلى فرد، ومن فئة إلى فئة.

وساد الأمر نفسه في عصر البعث والإحياء، حين حاول الشعراء استعادة أمجاد الشعر العربي الغابرة. وإن استجدت عوامل حضارية أخرى دخلت مع الاستعمار، ربما كان أهمها بدء شيوع التعليم المدرسي، وظهور الصحف والمجلات، وحركة إحياء المخطوطات العربية القديمة طباعة⁽¹⁾، لاسيما الدواوين وكتب الأدب. بما عاد على عملية التلقي بالاتساع من جانب، حيث أضيف إلى التلقي السمعي تلقى القراءة بزيادة ملحوظة في أعداد المتعلمين، ومن جانب آخر ازدادت الشقة بين لغة الشعر ولغة عامة الناس، بما خصص تلقى الشعر بالمتعلمين، وعوض ذلك غير المتعلمين بفنون الشعر الشعبي لتلبية حاجاتهم الروحية للشعر.

وبوجود التحدي الاستعماري، والتجاء الشعراء إلى التعبير عن طموحات مجتمعاتهم بالتححر والاستقلال، واتخاذ الشعر وسائل إعلام وتبشير ودعاية للثوار، لا يمكن تقليل شأن تلقي الشعر بحجة قلة أعداد المتعلمين، فقد أصبحت أشعار المناسبات الوطنية والقومية والدينية، أناشيد تتلوها القلوب قبل الأفواه، حماسةً وحباً بالشعر والشاعر الذي يعبر عن آمال شعبه. وإلى عهد قريب لم يستطع الشاعر العربي في العصر الحديث الفكاك من الأغراض التقليدية المعروفة، والاطلاع على دواوين الزهاوي والرصافي والجواهري، تشير إلى هذا المعنى لاسيما في ذكر مناسبة القصيدة، التي غالباً ما تكون سياسية أو وطنية أو قومية أو دينية أو اجتماعية، مما هي موضوعات مرتبطة بالمجتمع والمتلقي فرداً كان أو جماعة. وإذا كان العصر الحديث بما حمل من حداثة في جوانب الحياة المختلفة، قد أوجد شرحاً في علاقة الشعر بالجمهور

(1) ينظر الشاعر والجمهور (بحث): 106 . 107.

في أوربا، لاسيما الطبقات الدنيا كما يؤكد سارتر⁽¹⁾، لأن الحداثة عطلت الأذن وشغلت العين على حد تعليل علي الحلّي⁽²⁾، فإنها في الشرق قد جعلت من الشاعر ((ذا نفوذ بتأثيره الاجتماعي والسياسي))⁽³⁾، ومن ثم حافظ الشعر على مكانته عند الجمهور في (سَلَم تراتب الأنواع الأدبية)⁽⁴⁾، وقد تكون طفولة الأنواع الأدبية الأخرى وبداية نشوئها، وما تحمله البدايات من ضعف إبداع، وعدم تعرف واعتراف الوسط الاجتماعي بها، سبباً في استمرار الشعر بمكانته، ولكن السبب الآخر الذي يقتضي النظر به، وربما كان السبب الأهم، هو علاقة شعر ذلك العصر بالحياة وبالمجتمع العربي، وتعتّش هذا المجتمع بأقطاره المتباعدة إلى صوت الشاعر الوطني الثائر الرافض لقيم الواقع السيء، فقد كان شوقي وحافظ ((ينشر أحدهما القصيدة في مصر، فتتردد أصداؤها خلال أيام قليلة في كل أقطار العروبة))⁽⁵⁾. وأصبح للجواهري ((مكان في الكيان الشعبي، أشبه بمكان الشاعر العربي القديم من الكيان القبلي))⁽⁶⁾. ووبروز الاتجاه الرومانسي في الشعر، وتحول القصيدة من لغتها الخطابية، إلى لغة الهمس، ومن مخاطبة الجموع إلى الحديث الهادئ مع الذات أو مع الحبيب، ولعوامل أخرى ستبحث لاحقاً، كاد الشعر يخرج من وظيفته المقررة منذ نشأته، وبدأ يفقد مكانته تدريجياً، بما جعل المجتمع العربي والعراقي يبتعد شيئاً فشيئاً عن تلقي الشعر، ذلك الفن الذي كان يمثل كل معارفهم وفنونهم، والضرورة التي كانوا لا غنى لهم عنها.

(1) ينظر ما الأدب: 99 ، والشعر في عصر العلم (بحث) : 23 . 24.

(2) ينظر الشاعر والجمهور (بحث) : 106.

(3) قضايا الشعر المعاصر : 198.

(4) ينظر زمن الرواية: 91 . 93.

(5) حديث الثلاثاء : 9.

(6) النار والجوهر : 18.

وقد ((جاء أدب ما بعد الحرب أدباً خاصاً، أريد به خاصة الخاصة، ولم يحسب للقارئ العادي حساب، لا بل لم يكفِ أدباء ذلك العهد أن يغضّوا أنظارهم عن القارئ العادي، وما ينشده من ترجية لفرغه، بل يعمدوا [هكذا] أن يحولوا بين أدبهم وبين أمثال هذا القارئ بأسوار يقيمونها من عمق في المادة، وصعوبة في العرض، وكثرة في الإشارات التي لا تفهم إلا بعد مراجعات أدبية كثيرة ودراسة متأنية متروية))⁽¹⁾. ولا شك أن الدكتور زكي نجيب محمود في كلامه هذا لا يعني جيل الرواد، وإن بدأ ذلك معهم، إلا أنهم بشكل عام لم تصل معهم الأمور إلى هذه الدرجة في علاقتهم بالمتلقين. وصحيح أن الموضوعات التي نظموا بها أشعارهم تختلف اختلافاً كثيراً عن موضوعات وأغراض الشعر القديم ، إلا أنها موضوعات تهم مجتمعاتهم، أو منبثقة عنها⁽²⁾، مما جعلها قريبة من نفوس عامة المتعلمين، بل إن بعضهم نظم شعره في موضوعات تقليدية كالغزل والحب والعلاقة مع المرأة⁽³⁾، وكانت صحائف أشعارهم تتناقلها الأيدي، فتقرّ بها العيون، وتطرب لها الأسماع. يقول السياب:

ديوان شعري كله غزل بين العذارى بات ينتقل
أنفاسي الحرّى تهيم على صفحاته، والحب والأمل
وستلتقي أنفاسهن بها وترفّ في جنباته القبل⁽⁴⁾
والقصيدة تعبر عن هذا المعنى تعبيراً دقيقاً.

(1) مع الشعراء: 21.

(2) ينظر مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر: 44، 59، 155، 166.

(3) ينظر اتجاهات الغزل في الشعر العراقي الحديث (رسالة).

(4) ديوان بدر شاكر السياب: 108، 109.

حتى إذا وصل الأمر إلى عصرنا الراهن، استحكمت القطيعة بين الشعر والمجتمع بفئاته كافة، سوى الشعراء أنفسهم، ومن اتّبعهم نقداً وتوجيهاً ورصداً وتحليلاً وتفسيراً. ونادراً ما نجد من غير هؤلاء تفاعلاً وانفعلاً أمام نص شعري، بل نادراً ما نجد أحداً يسعى بحثاً عن قصيدة ليقراها، أو ديوان ليطلع عليه.

ولا تنتهي المسألة عند هذا الحد، إذ الحديث هنا لا يقتصر على عامة الناس، وإنما المسألة هنا تخص المتعلمين ومن يمكن وصفهم بالمتقنين لاسيما الطلبة، وإذا كان من هذه صفتهم، يتسمون بضعف علاقتهم وتلقيهم للشعر أو انعدامها، فكيف إذا تحدثنا على عامة الناس، ولا يهم هنا أعداد الأميين ممن لا يقرؤون أصلاً، كما أهمنا هؤلاء في التلقي القديم، لأن الأميين في هذا العصر مستبعدون أصلاً من أعداد المتقنين، لاختلاف طريقة تلقي الشعر في هذه العصور عن العصور القديمة، التي كان فيها التلقي الشفاهي أكثر بكثير من التلقي القرائي.

إن التلقي الشفاهي وإن كان متناسباً تماماً مع طبيعة شعر تلك العصور، وما يتوفر في قصائده من لوازم وخصائص شفاهية، إلا أن الشعر في عصورنا هذه وإن حاول كثير من شعرائه توفير اللوازم والخصائص الكتابية فيه، إلا أنه كما أكد كثير من الباحثين والنقاد، ما زال متسماً بكثير من خصائص الشفاهية، بما لا يمكن عدّه عاملاً حاسماً في تغيير عامة الناس من الأميين عن الشعر، كما لا يعدّ عاملاً حاسماً في عزوف عامة المتعلمين عنه.

المبحث الثاني

عالمية ظاهرة العزوف عن تلقي الشعر المعاصر

ليس ما قلناه آنفاً من إضراب المجتمع العربي عن الشعر المعاصر فريّة لا رصيد لها من واقع المجتمع ومظاهره الثقافية، وليس محاولة لتهميش

الشعر انسياقاً وراء مقولة (موت الشعر) و (انتهاء عصر الشعراء) التي لا تصبّ على رأي د. نزار بريك هنيدي في النهاية ((إلا في طاحونة القوى التي تسعى إلى إيقاف التاريخ عند حدود مصالحها، وتعمل على تجريد الإنسان من جوهره الأصيل))⁽¹⁾، وإنما هو رصد لواقع اجتماعي ثقافي واضح للعيان، لاسيما في مجتمع كان الشعر يعد فيه، مركزاً لثقافته وتجلياتها المعرفية والسلوكية، ومحركاً لمنظومته القيمية.

كما إنه ليس طعنًا للأمة في أعز ما تملك من تاريخها العريق، ووراءه ما وراءه من أهداف وغايات مرتبطة بالتآمر العالمي! من أجل إضعاف الأمة، كما يرى حميد سعيد ⁽²⁾. فالباحث يبرأ أمام الله والإنسانية والمعرفة من كل ذلك. إنما هو يرى ويصف ما يراه، وينقل إلى الورق وقائع علاقة بين الشعر المعاصر والمجتمع العربي في العراق، وما آلت إليه هذه العلاقة.

والظاهرة في ما يبدو ليست ظاهرة عربية بحت، إنما هي ظاهرة تجتاح المجتمعات البشرية كافة المتقدمة منها والمتأخرة على ما يقول علي الحلّي⁽³⁾. فمنذ أن قرر إفلاطون طرد الشعراء من جمهوريته الفاضلة⁽⁴⁾، تتابعت الآراء في موقع الشاعر في المجتمع، وبدأ كثير من الفلاسفة والنقاد والشعراء يشككون بأهمية الشعر ووظيفته واستجابة المجتمع له⁽⁵⁾. وينقل د. نزار بريك هنيدي شكوى الشاعر اليوناني (أوفيد 43 ق. م) في كتاب الأخير

(¹) في مهب الشعر: 10.

(²) ينظر أسئلة الشعر . حوارات...: 80 . 81.

(³) ينظر الشعر ووسائل الإعلام الحديثة (بحث): 7.

(⁴) ينظر جمهورية إفلاطون: 55 . 56، ومواقف في اللغة والأدب والفكر: 50، وفن الشعر (إحسان):

137 . 138.

(⁵) ينظر مواقف سلبية من الشعر والشعراء (بحث).

(فن الهوى)، من أنه جاء متأخراً كثيراً عن العصر الذي كان فيه الناس يستجيبون للشعر ويحتفلون به⁽¹⁾.

إما الدكتور علي شلش فيحاول التأريخ للأزمة بين الشعر وعامة الناس، ويعيدها إلى العصر العباسي، يقول: ((ومع مرور الزمن، وازدياد نمو المدن، والتعليم والعلم، وارتفاع معدل التحولات الاجتماعية، بدأت الثقافة العربية في الانقسام إلى قطاعين واضحين: قطاع تمثله ثقافة الخاصة، وآخر تمثله ثقافة العامة، وانضم الشعر إلى ثقافة الخاصة، ولكن ثقافة العامة سرعان ما أنشأت شعرها الخاص وأدبها الخاص... وأنتجت الكثير من ألوان الشعر والأدب))⁽²⁾. وفي قضية انضمام الشعر إلى ثقافة الخاصة في العصر العباسي نظر وإشكال ليس هنا موضع مناقشته.

وكثيراً ما أشار دارسو الثقافة الأوروبية وفلاسفتها إلى انتفاء وظيفة الشعر، ومن ثم مكانته المركزية في المجتمع وثقافته، وربما كان أوضحهم في ذلك هيغل الذي تنبأ بانتهاء عصر الشعر والفن عموماً، يقول الدكتور مصطفى سوييف: مهمة الفن عند هيغل تشبه مهمة الدين والفلسفة وهي التعبير عن الروح أو المطلق ((غير أن مفهوم تطور الفن يدعو للتشاؤم عند هيغل، فمستقبل الفن صائر إلى موته، بل لقد بدأت تباشير الموت تلوح منذ عصر هيغل، بل منذ بدأ ظهور الشعر، فالشعر فن نوعي وصل إلى قمة هي بدء انحلال الفن نفسه))⁽³⁾. وقريب من ذلك ما قاله الرسام التجريدي الهولندي (بيتر موندريان) على ما نقله أرنست فيشر: ((إن الفن سيختفي عندما تصل

(1) ينظر في مهيب الشعر: 15.

(2) ينظر الشاعر والجمهور (بحث): 103.

(3) الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة: 342.

الحياة إلى درجة أعلى من التوازن))⁽¹⁾. ويتنبأ (سارتر) بالمصير نفسه لما يسميه بـ (أدب الإنتاج) مقابل (أدب الاستهلاك) : ((أدب الإنتاج الذي اخذ يظهر، لن ينسي الناس أدب الاستهلاك، ولا يصح أنه يفوقه في الكثرة، بل يحتمل أنه لن يساويه ابداً، ولن يحلم أحد بتوكيد أن هذا الأدب سيصل بنا إلى غايته ويحقق جوهر فن الكتابة، بل ربما سيختفي هذا الأدب عن قريب، إذ يبدو أن الجيل التالي لنا مرتاب في أمره))⁽²⁾.

ويعرض الدكتور حسام محيي الدين الآلوسي صورة يرسمها (جورج تومسن) في (الماركسية والشعر) يعيد فيها الأزمة إلى زمن الثورة الصناعية: ((غير أنه بظهور الثورة الصناعية التي اكتسحت كافة البقايا الإقطاعية إلى الأبد أصبح الشعر سلعة والشاعر منتجاً في سوق مفتوحة، أخذ الطلب فيها على بضاعته بالهبوط المستمر... فماذا يعني رجال الأعمال الكبار من الشعر؟ لقد أصبح هم فئة صغيرة منعزلة عن المجتمع، ونقصد بهم مثقفي الطبقة الوسطى... وهكذا نجد الشعر البرجوازي وقد فقد صلته بالقوى الكامنة للتطورات الاجتماعية، وتقلص نطاقه في الموضوع، ونطاقه في التوجه إلى الجمهور، ولم يعد الآن إنتاجاً شعبياً، ولا حتى طبقة، وإنما نفر منزو))⁽³⁾. وقد رأى آخرون غيره عكس ذلك، فالتطورات الاجتماعية الناتجة عن الثورة الصناعية، تجعل المجتمعات البشرية تعيش فقراً روحياً مدقاً بدون الفن، لذلك ((كان الشعر ديناً جديداً، وملجأ عاطفياً من الاغتراب الناتج عن الرأسمالية الصناعية))⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ ضرورة الفن : 7.

⁽²⁾ ما الأدب: 218.

⁽³⁾ الشعر في عصر العلم (بحث) : 23 . 24.

⁽⁴⁾ مقدمة في النظرية الأدبية: 53.

ويورد جابر عصفور ما قاله محمد المويلحي على لسان عيسى بن هشام مصوراً نوع التغيير الذي انتاب المجتمع العربي في عصر النهضة، لا يشك الباحث في كونه نوعاً من انعكاس التطورات الجديدة التي بدأت تدخل المجتمع العربي على فطرة الناس وطريقة تفكيرهم وسلوكهم: ((الناس اليوم في حركة لا شرقية ولا غربية، فقد اشتغل بعضهم ببعض، واكتفوا من دهرهم بحوادث يومهم، فتعطلت بينهم مجالس العلم، و اندرست مجامع الأدب، واقتصروا على مطالعة أخبارهم في الجرائد والصحف دون الدفاتر والكتب، وأنى يكون لهم الاستقرار في المجالس، وهم لا يستقرون في مكان، ولا يهدؤون من حركة، ولا ينفكون من غدو ورواح، ولا ينتهون من نقلة وسفر؟ وإنك لترى هذا بيناً في حديثهم، فهم لا ينصتون إلى قصة متصلة، ولا يتبعون في الكلام قضية مرتبة، ولا يعجبهم منه إلا ما كان متقطعاً مبتوراً أو مقتضباً مجزوماً))⁽¹⁾.

ويحدد آخرون بدايات الأزمة بظهور الجماعات الفنية الجديدة، يقول (جان كوهين): ((إن الانفصال الحالي بين الشعر وجمهوره بدأ مع الرمزية... [و] لقد دفعت السورالية خاصة وهي واقعة تحت تأثير المثالية الألمانية سوء التفاهم إلى الحد الأقصى))⁽²⁾. ومثل ذلك ما يؤكده الدكتور عبد الرحمن محمد القعود: ((إذا كان الفراق بين الشعر والجمهور قد بدأ كما يقرر كثير من الدارسين مع الرمزيين، فإنه مع السرياليين وبسبب هذا النوع من الكتابة وما تسببه من إبهام، بلغ مداه))⁽³⁾. ويحدد الدكتور زكي نجيب محمود بداية الأزمة بما بعد الحرب ⁽⁴⁾. وهناك من يرى أنها بدأت مع نهاية الستينات))

(¹) زمن الرواية: 33.

(²) بنية اللغة الشعرية: 128.

(³) الإبهام في شعر الحداثة: 115.

(⁴) ينظر مع الشعراء: 21.

لقد كانت المناقشات عن الأدب سواء في مراجعات الكتب في الصحافة أو في المجلات الفنية أو في الإذاعة والتلفزيون، موجهة إلى القارئ العادي... كان النقاد يتحدثون حديثاً طيباً مطمئناً عن التجربة الشخصية للكاتب، وعن الأساس الاجتماعي والتاريخي للعمل، وعن المنفعة الإنسانية والعبقورية الخيالية، والجمال الشعري للأدب العظيم، بعبارة أخرى كان النقد يتحدث عن أدب لا يعكر صفو صورتنا عن العالم، ولا صفونا كقراء. ثم بدأت الأشياء بالتغير مع نهاية الستينات ((¹).

وللوقوف على تهشم المركز الذي كان يستقر به الشعر عالمياً، ننقل مجموعة من إجابات شعراء غربيين كبار على سؤال قدمته مجلة (CHARACTERS) وهي مجلة دولية تعنى بالشعر تصدر في باريس، والسؤال هو: (ما هو في اعتقادكم موقع الشعر في المجتمع؟)، وقد نقل الإجابات رشيد بنحدو ونشرها في مجلة عالم الفكر سنة 1989، وفيها: أجب (نيكول كداليا): ((لا مكان في المجتمع للشاعر مطلقاً... هو دوماً مخلوق طفيلي، لأن ما ينتجه لا يمكن تحويله في ما يبدو إلى مادة استهلاكية ومربحة))، وأجاب بمثله (ج. ب. بالب): ((أما الشاعر فلا ينتج ولا يبادل شيئاً، فلا فائدة منه، ولا موقع له في المجتمع أياً كان شكله، لكن الشاعر مثل الطفيلي، كائن موجود...)). ويستند (جان بيير لوسبور) لفقدان الشاعر وظيفته الاجتماعية، ليعلن أنه غير موجود في المجتمع، أما (ميشيل مانول) فيقرر عبر سؤال استكاري، بأن الشاعر لم يعترف به في مجتمعه يوماً، فالمسألة عنده ليست جديدة طارئة، وإنما هي موقف تاريخي من الشاعر ((أتساءل هل سبق أن حظي شاعر ما باعتراف في مجتمعه؟)). ويستثمر شعراء آخرون السؤال لتعزيز أهمية الشاعر في مجتمعه، لأنه أسمى وأرقى، يقول (هوبير

(¹) النظرية الأدبية المعاصرة: 7.

جوان): ((لا مكان للشاعر في المجتمع. الشاعر متقدم على المجتمع))، وأجاب بمثله (بيير بوجوت). ومع اعتراف (فلورنس فوكومبر) بنفي منقطع لمكانة الشعراء في مجتمعاتهم الراهنة، إلا أنه يعطيهم مكانة هامشية ((أعتقد أن للشاعر موقعاً هامشياً في المجتمع، لأن الشعر لا يحظى بوجود فعلي في المجتمعات الصناعية... ولن تتغير هذه الوضعية ما دام الشعر خارج مجال الضرورة لدى جميع الناس)) . ويرى بعض شعراء الغرب أننا ((يجب أن نكف عن عد الشاعر مخلوقاً استثنائياً)) لأنه كما يستمر في القول (أندري مارسيل): ((موقع الشاعر في المجتمع، إنه موقع أي إنسان))، ويعبر (شارل أوطران) عن المعنى ذاته بقوله: ((من البديهي ألا يكون للشاعر فيه موقع ما إلا بشكل عرضي أو طارئ))، ويؤكد ذلك (جاي بلمانس): ((يتحدد موقع الشاعر حالياً بين تدبير شؤون البيت أو البطالة، وإلا فلا موقع له)) . إنهم يركزون على سلب الشاعر صفة الشاعرية في تقييمه، فقيمه في المجتمع تتحدد بما يفعله لا بما يقوله.

وإذا كانت مجموعة أجابت على السؤال بأهمية الشاعر، فإن كلمات (دومنيك سيلا) تنطوي على إحساسه بأهمية الشاعر في المجتمعات القديمة، وفقدانه لهذه الأهمية في هذا العصر، يقول: ((على الشاعر أن يستعيد موقعه الحقيقي في المجتمع المعاصر، عليه أكثر من ذي قبل أن يكافح ليثبت للمجتمع انه ضروري...))، ويؤكد أنه يمكنه استعادة هذه المكانة في مجتمع ((يعامله غالباً كعنصر طفيلي أو في أحسن الحالات كبضاعة يتاجر بها))⁽¹⁾. إن إحساس شعراء العالم بفقدانهم مكانتهم في مجتمعاتهم، ومن ثم فقدان الشعر لمكانته المركزية في ثقافة هذه المجتمعات ناتج عن إحساسهم بعزوف المتلقين عنه. وإن تقديم هذه المجلة الدولية المتخصصة بالشعر لهذا

(1) ينظر أسئلة الشعر في زمن اللامع (مقال): 199 . 204.

السؤال، واهتمامها بالإجابات ونشرها ليشير إلى أن ظاهرة العزوف عن الشعر ليست ظاهرة محلية لمجتمع ما، وإنما هي ظاهرة تجتاح المجتمعات البشرية، وإن هذه الإجابات أشبه بالاعتراف الرسمي بالأزمة.

ويعبر (دانا جيويّا) عن هذه الأزمة في الشعر الأمريكي تعبيراً رشيقيّاً في مفتتح مقالته (هل الشعر مهم؟ واقع الشعر الأمريكي ومستقبله): ((ينتمي الشعر الأمريكي الآن إلى مجال الثقافة الثانوية، ولم يعد بعد جزءاً من تيار الحياة الفكرية الأساس، إذ أصبح فقط شاغل مجموعة متخصصة صغيرة معزولة نسبياً، يصل قليل من نشاطها المهتاج خارج إطارها المغلق))⁽¹⁾. ويؤكد في مقالته أن الجدل في هذه المسألة يعود إلى 1934، حين نشر (أدموند ولسون) مقالته (هل القصيد تقنية ميتة)، ثم يقوم بعرض بعض المظاهر الثقافية الدالة على معنى تقلص دور الشعر في الحياة الثقافية الأمريكية، ودخوله في هامشها، وممارسته لدور ثانوي فيها، ويقدم للشعراء نصائحه آملاً أن تعيد لهم ولشعرهم مكانته المسلوبة في المجتمع. ويقول مترجم هذه المقالة (غازي مسعود) إنها نشرت في أمريكا سنة 1991 ((وقد أثارت من الجدل ما لم تثره مقالة شبيهة، فقد كتبت مئات المقالات المؤيدة والمعارضة والبين بين، بالإضافة إلى آلاف الرسائل والمكالمات الهاتفية التي تلقاها المؤلف... وبعد سنوات من نشرها وسعها المؤلف لتصبح كتاباً بالعنوان نفسه (هل الشعر مهم؟..))⁽²⁾. وفي سنة 2007 حملت مجلة (القفلة) السعودية، إلى مؤلف المقالة ((الشاعر الأمريكي (دانا دجويّا) مؤلف كتاب (أما زال للشعر مكانة)، السؤال عن حال الشعر المعاصر في أمريكا.. وجاء جواب الشاعر والكاتب الأمريكي في مقالة جامعة لمختلف جوانب هذه

(1) هل الشعر مهم (مقال): 71.

(2) المصدر نفسه: مقدمة المترجم: 71.

القضية، كان قد كتبها سابقاً، وتكشف هذه المقالة التي ترجمها هنا أحمد عثمان وجود طلاق شبه تام بين الشعر المعاصر في أمريكا والجمهور العام ((¹). ومن طريف ما ينقل في الموضوع أن الشاعر العراقي فاضل العزاوي قرأ إعلاناً في ألمانيا عن عقد أحد الشعراء أمسية لقراءة أشعاره، وكان العزاوي متعطشاً لحضور هذه الأمسية، وحين جاء الموعد، ودخل القاعة، لم يجد فيها سوى الشاعر وحبيبته!!⁽²⁾.

نستفيد من جملة الآراء والنصوص المعروضة: أن الحديث عن إشكال أو أزمة أو قطيعة بين الشعر والمتلقي ليس حديثاً جديداً، هذا أولاً، ثم إن الموضوع لا يخص الشعر العربي أو المجتمع العربي فقط. وجدير بالذكر أن حديثاً مثل هذا قبل منتصف القرن العشرين غالباً ما يؤشر بدايات ظهور هذه الأزمة، ولا يؤكد رسوخها وثبوتها في مجتمعات العصور المشار إليها، فكثيراً ما كانت أشبه بالأزمات الطارئة التي سرعان ما تزول بزوال مسبباتها، كما هي الحال في شكوى أوفيد وما شاع من موقف أبي تمام، أو هي تعطل مؤقت لوظيفة الشاعر في مجتمعه بسبب ظرف سياسي أو اجتماعي أو ديني أو حتى ظرف فني كما هو الحال مع السريالية.

المبحث الثالث

مظاهر الغزوف عن تلقي الشعر المعاصر

إن قافلة الشعر والشعراء قد سارت، بالرغم هذه الأزمات، مما يؤكد كونها أزمات طارئة زائلة. ولكن ما يستحق التنويه: أن كثرة الأزمات وكثرة تكرارها، قد يؤدي فعلاً إلى نوع من الإشكال في علاقة الجمهور بالشعر، بل إلى قطيعة، ومن ناحية أخرى فإن هناك مظاهر اجتماعية وثقافية كثيرة، محلية

(¹) أما زال الغرب يقرأ الشعر؟ (مقال) : تقديم مجلة القافلة للمقال: 12.

(²) ينظر عزلة الشعر عزلة الوهم (بحث).

وعالمية، مما لا يحتاج إلى دقة نظر، أو طويل تأمل، قد تشير إلى استحكام هذه الأزمة، بما يرقى بها أحياناً إلى درجة القطيعة بين الشعر والمتلقي في عصرنا هذا. ومن جملة هذه المظاهر:

1. مستوى القراءة والخريطة الثقافية:

لقد أصبحت القراءة الوسيلة الرئيسة للتلقي بفعل عوامل كثيرة، أهمها التطورات الحضارية التي يسّرت الحصول على المصدر المقروء، وانشغال أفراد المجتمع انشغالاً لا يهيئ توافق أوقات فراغهم وأوقات سماع الشعر في الملتقيات والنوادي الأدبية أو الأمسيات والمهرجانات، والتطور الفني للشعر بما جعله يتجاوز مرحلة المشافهة، ويغيّر خصائصه لتتناسب القراءة.

وفي عقود النصف الأول من القرن العشرين نشطت القراءة بزيادة أعداد المتعلمين، ولا نبالغ إذا قلنا أن القراءة كانت الوسيلة الرئيسة لتحصيل الخبرة المعرفية، وإشباع الحاجة النفسية وإثراء مشاعر الإنسان، فضلاً عن كونها الوسيلة الشعبية الرائجة للاستمتاع واستحصال اللذة الأدبية، لدرجة أنه من النادر أن يخرج عن هذا الحكم أحد من المتعلمين. ويبدو أن الحكومات العربية المستحدثة قد حاولت تنشيط الحركة الثقافية بفتح المكتبات الحكومية حتى في القرى على ما يقول عزيز السيد جاسم مؤكداً أن الحركة الثقافية فيها نشطت بكثافة وقوة، ولكنها خسرت فيما بعد ((بفعل مؤثرات الغزو الحضاري واللعبة الإمبريالية الكثير من مكاسبها الثقافية، فأقفلت المكتبات في القرى، بعد أن كان ذلك علامة من علامات النهضة الثقافية الوطنية، ومن ثمار الاستقلال والتقدم))⁽¹⁾.

وإلى زمن قريب كانت مدارس العراق في المدن الكبيرة والصغيرة، فيها مكتبات مدرسية تصلها الإصدارات العراقية والعربية، ويشرف عليها أحد

(¹) تأملات في الحضارة والاغتراب: 46.

أعضاء هيئة التدريس، وينظمون استعارات الطلبة منها، ويفرض بعض المعلمين والمدرسين الاستعارة والمراجعة على الطالب فرضاً لاسيما في دروس اللغة العربية.

ذلك ما جعل القراءة والمطالعة طابعاً غالباً على الطلبة والمتعلمين عموماً. فهل القراءة والمطالعة طابع غالب على الطلبة والمتعلمين في هذه العقود كما كانت سابقاً؟ وهل بقي الكتاب الوسيلة الرئيسة للثقافة والمعرفة؟

يتحدث كثيرون على أزمة أصابت القراءة والكتاب، ويصورها حسين حموي في مقالة طريفة عن الكتاب: ((أصبح يجلس بعيداً في إحدى زوايا البيت، ينتظر اليد الحانية التي تمتد إليه، بشغف واهتمام، أو خلف جامات المكتبات الخاصة والعامة، ينظر من خلف الزجاج بعيون منكسرة وجوه أولئك الزوار لعلهم يرحمون عزلته، وسجنه على رفوف تلك المكتبات خلف تلك الجوامات، أجل لم يعد الكتاب ينعم بالسعدى والترحال، من يد قارئ إلى يد قارئ آخر، بل أصبح ملقياً على الأرصفة، تمطره السماء بوابل المطر، وتنتثر به الأقدام الموحلة، وهي تسير على عجل في زحام المارة))⁽¹⁾. ويقول محمد عزام: ((أصبح الكتاب هامشياً في عصر الفضائيات والمعلوماتية والتجارة، فصار المرء ينبذ الكتاب، ويتمدد على أريكته في منزله مرتاحاً، ومرتدياً منامته، يطوف العالم بالصوت والصورة، دون أن يجهد نفسه، أو يرهق عينيه وخياله بقراءة كتاب))⁽²⁾.

وقد تُبَتَّت تراجع القراءة في أقطار الوطن العربي بالأرقام، فالعزوف عن القراءة في أوساط المتعلمين كان بحدود 50% عما كان عليه قبل عقدين أو ثلاثة، كما ينقل حسين حموي عن نتائج مسح ميداني قام به (غريغور فايزنغ

(1) لماذا خفت صوت القراءة (مقال).

(2) سلطة القارئ في الأدب (بحث).

(الخبير بشؤون الكتاب في معرض فرانكفورت والدكتور فتحى البسّ نائب رئيس اتحاد الناشرين العرب⁽¹⁾). ومنح طلبة إحدى الجامعات العربية . على ما نقل أشرف بكر⁽²⁾) - فكانت النتائج (20% من الطلاب لا يقرؤون مطلقاً باستثناء مقرراتهم الدراسية، و 20% يقرؤون مراجع في مجال اختصاصاتهم، و 26% يقرؤون أقل من ساعة يومياً، و 35% يقرؤون بين ساعة وساعتين، و 2% يقرؤون أكثر من أربع ساعات يومياً) .

وقد أجاب طلبة الجامعات العراقية، من المتخصصين باللغة العربية في استبانة أعدّها الباحث، تهدف إلى تحديد موقع المطالعة والقراءة بين هوايات الطالب، وتحديد اتجاهات قراءاتهم، فأجاب الطلبة على سؤال الباحث بتحديد الهواية التي يمارسونها: بأن (92) طالباً من مجموع (200) تستهويهم المطالعة، ما يعادل نسبة (35,8%) من العينة. وهي نسبة عالية لو أخذت من عينة عشوائية من المجتمع العراقي، أما إذا كانت من طلبة الجامعات المتخصصين باللغة العربية والأدب، فهي نسبة قليلة، مع إمكان عدم تطابقها مع الواقع لاسيما إذا كان الطلبة المستفتون يريدون بيان جدّيتهم ومواظبتهم للمستفتي. أما كونها مرتفعة قليلاً عن نسبة المطالعة في الأقطار العربية الأخرى، فيفسره تأخر العراقيين في الاستفادة من منجزات التكنولوجيا الحديثة لاسيما في مجال الاتصالات.

إن النسب المذكورة تؤشر انسحاباً متدرجاً للكتاب من الحياة الثقافية للمجتمع العربي والعراقي، وقلة الإقبال على القراءة بما انعكس على دور النشر، الأمر الذي يؤكد الناشرون: ((إن مهنة النشر في البلاد العربية، تعاني من أزمة ثلاثية الأبعاد: مؤلف مبدع، وناشر محترف، وقارئ متلهف

(¹) لماذا خفت صوت القراءة (مقال).

(²) ينظر ماذا يقرأ عرب اليوم: 108.

((¹). وإذا خصصنا الحديث في أزمة القارئ، فإن الأزمة ليست أزمة نشر أو أزمة كتاب، وإنما هي أزمة أدب على ما يقول نجيب محفوظ: ((ليست هناك أزمة كتب كما يقال، فالكتب السياسية والدينية تباع بأسعار خيالية، ورغم ذلك تطبع مرتين، إذن الأزمة في كتب الأدب فقط، والسبب أن التلفزيون قد يكون منافساً للكتب الدينية والسياسية، ولكنه بالنسبة للكتب الأدبية ليس منافساً فقط بل هو بديل، ولذلك تحولت جمهرة الناس، من القراءة إلى المشاهدة))(²).

إن نسبة إصدارات دور النشر العربية قياساً إلى عدد نفوس العرب هي كتاب واحد لكل مئة ألف عربي(³)، بينما يتبين من إحصائية أجريت عام 1978 : أن البلاد الصناعية أصدرت 78% من مجموع الكتب الصادرة في العالم (⁴)، وأنَّ ((ما تطبعه الدول العربية مجتمعة لا يساوي نصف ما تطبعه إسرائيل))(⁵).

وإذا كانت نسب النشر ونسب القراءة منخفضة في البلاد العربية، فإن فيها انخفاضاً آخر في مجال قراءة الكتب الأدبية عموماً والشعر بشكل خاص. ويلخص أشرف بكر الفكرة بقوله: ((الإحصاءات المتوفرة التي تقول لنا عن نسب الكتب المنشورة في العالم العربي مخجلة، ونوعية الكتب الرائجة مخجلة أكثر فأكثر، فهي تتراوح بين كتب السحر والشعوذة ونفخ البطون))(⁶)، ويعرض نتائج إحصاءات عربية ودولية أجريت تتلخص بهيمنة الكتاب الديني،

(¹) المصدر نفسه: 11.

(²) قراءات في رؤوس تحترق: 33.

(³) ينظر ماذا يقرأ عرب اليوم: 142.

(⁴) ينظر حديث الثلاثاء: 200.

(⁵) ماذا يقرأ عرب اليوم: 141. ذلك في إحصائية أصدرتها اليونسكو عام 1966.

(⁶) المصدر نفسه: 95 . 96.

وما يتعلق بالأزياء والزينة، والموضوعات الفنية⁽¹⁾. ويؤكد النتائج حسين خمري في ما ينقله من إحصاء باختلاف فني طفيف، فالنسبة الغالبة عنده من القراء تركز على الصحف والمجلات، و30% للكتب الدينية والتراثية، ثم الفكرية والسياسية، وأخيراً النقدية والإبداعية⁽²⁾.

وأكدت استبانة مجالات القراءة للطلبة العراقيين التي قام بها الباحث أن عدد الذين يقرؤون الكتب الدينية بلغ (101) من مجموع عينته البالغة (236) طالباً، ما شكل نسبة حوالي (43%) من العينة. وكان عدد الذين لم تتحدد توجهاتهم في القراءة (43) طالباً بنسبة (18%) والذين لا يطالعون (13) طالباً بنسبة (5,5%)، وتوزعت مجالات القراءة الأخرى كما يأتي: الأدبية (32) طالباً بنسبة (14%)، والفكرية (16) طالباً بنسبة (6,7%)، والتاريخية (11) طالباً بنسبة (4,6%)، ولكل من العلمية والفنية (10) طلبة بنسبة (4,2%) لكل مجال منهما.

إن الأعداد والنسب التي انتهت إليها الاستبانة تؤكد انخفاض حظ القراءة عموماً وقراءة الأدب بين متعلمي المجتمع العراقي، لأن العينة كما ذكرنا سابقاً ليست عينة عشوائية من عامة أفراد المجتمع، وإنما هي عينة مخصوصة مقصودة أخذت من بين المتخصصين بدراسة اللغة العربية والأدب، وهم فئة من الشباب نتوقع أن يولوا جل اهتمامهم للأدب. إن الـ (14%) من الطلبة الذين أظهرت الاستبانة ميولهم في القراءة للأدب كان بينهم نسبة عالية. كما سوف نرى . ممن أعلن عن اهتمامه بالشعر الشعبي، والنسبة العظمى منهم كانوا من المهتمين بالشعر القديم، أما المهتمون بالشعر المعاصر، فلا يشكلون

(¹) ينظر المصدر نفسه: 100 . 107.

(²) لماذا خفت صوت القراءة (مقال).

نسبة ذات أهمية إطلاقاً، مما يؤثر الوضع المزري الذي عليه مكانة الشعر العربي المعاصر ومستوى تلقّيه.

2. مستوى الثقافة الأدبية المعاصرة:

ليس من السهل تحديد مستوى الثقافة الأدبية لعامة الناس، وذلك لتعدد هذه المستويات وتفاوتها بدرجة كبيرة ⁽¹⁾. ومن الأجدى الحديث عن مستويات الثقافة الأدبية عند الطلبة في مرحلة الإعدادية ومرحلة التعليم الجامعي، وقياس الآخرين من عامة الناس على مستويات هؤلاء. ولا ندعي أن الطلبة يمثلونهم أدق تمثيل، وإنما هم طليعة شابة قابلة للازدياد في الثقافة والمعرفة، ولا يفوق مستوى عامة الناس مستوى طلبة الجامعات، كما أن كثيرين منهم كانوا طلبة يوم ما.

والملاحظ أن الثقافة الأدبية للطلبة الجامعيين ضعيفة إلى حد بعيد، وإذا كانت هناك حالات تفند هذا الزعم، فإنها حالات قليلة ونادرة. ولا تخرج الثقافة الأدبية للطلبة عن الثقافة التي تعرضها الكتب المدرسية على الطالب، وما يتبقى منها في ذهنه خلال سنوات الدراسة، ويحدد أدونيس في بيان من بيانات كتابه (فاتحة لنهايات القرن) مدى عزوف الطلبة عن تذوق الأدب العربي ودراسته بنسبة (95%) من الطلبة ⁽²⁾. وللدقة فإن هذا الزعم يشمل الطلبة المتخصصين بدراسة اللغة والأدب، فقد انتهى الزمن الذي يقيم فيه طلبة الإعداديات والجامعات مهرجاناتهم الإبداعية الشعرية والخطابية، إذ ضمّر عندهم الإبداع، وأضربوا عن ملاحقة القصائد، ومطالعة الدواوين، ومتابعة الشعراء، بل إن مستوياتهم ضعيفة في مادة الأدب والنصوص، ويعانون مشاكل

(1) ينظر الثابت والمتحول . صدمة الحداثة: 241.

(2) ينظر فاتحة لنهايات القرن: 57.

في تحصيلها⁽¹⁾. وقد يقال إن هذا زعم من المزاعم التي تقال ولا دليل له ولا سند، وهو وإن كان كذلك لحد الآن، ولكن لا يظن الباحث أن أستاذاً في أقسام اللغة العربية لا يشخصه في طلبته على الأقل في السنوات الأخيرة. وقد أفادت استبانة الباحث في التأكد من مصداقية ما أشيع من انخفاض مستوى الثقافة الأدبية العامة والمعاصرة عند الطالب الجامعي العراقي، فقد أعدها لهذا الغرض وقدمها لعينة بلغ تعدادها بحدود (200) طالب جامعي من المتخصصين باللغة العربية والأدب. وعرضت في الاستبانة أسئلة يجيب عليها الطالب تبين مدى صلته بالثقافة الأدبية: فبعد أن أجاب (130) طالباً بأنه يحب قراءة الشعر مقابل (18) لا يحبون قراءته و (52) يحبونه إلى حد ما، وهو ما يدل على كثرة محبي الشعر والراغبين به، امتنع (66) طالباً من الإجابة على سؤال (ما آخر ديوان أو مجموعة أو قصيدة قرأتها؟)، واعترف (35) آخرون بأنهم لم يقرؤوا، والمجموعتان تشكلان حوالى نصف العينة. أما الذين حددوا أسماء شعراء، فكان مجموعهم (102) مما يبيّن التناقض في الإجابة مقارنة بسؤال (هل تحب قراءة الشعر؟) ويشير إلى عدم صدقهم في الإجابة على هذا السؤال.

ومع ذلك فإن أسماء الشعراء الذين حددهم الطلبة على أن الأخيرين قد قرؤوا لهم، كانت النسبة العظمى منهم من الشعراء القدماء ما عدده (52) إجابة، وأجاب (15) طالباً بأسماء شعراء شعبيين، أما الباقيون وهم (35) طالباً، فقد ذكروا (9) من شعراء العصر الحديث ممن شهروا في بدايات القرن العشرين أو تجاوزوها قليلاً وهم (الجبوبي/ 3، الرصافي/ 2، أحمد شوقي/ 1، الجواهري/ 1، الصافي النجفي/ 1، الشابي/ 1). كما نال

(1) ينظر الموجز في طرائق تدريس اللغة العربية وآدابها: 2 / 188، وأثر استعمال

أسلوب المناقشة الثنائية... (رسالة): 2. 3.

رواد الشعر الحر (9) أصوات: (السياب / 7 ، البياتي / 1 ، نازك / 1) .
أما الباقون فقد حددوا أسماء معاصرة (نزار قباني / 10 ، احمد مطر / 6 ،
أحمد الوائلي / 3) .

والملاحظ من هذه الاستبانة: أن الأسماء الواردة فيها كلها لشعراء
قدماء أو تقليديين ممن عرفوا بالشعر العمودي، باستثناء السياب والبياتي ونازك
ونزار وأحمد مطر. والملاحظة الأتّرف أن جميع المذكورين من الأموات
باستثناء احمد مطر. كما أن المذكورين من الشعراء لا يحسبون على قائمة
الحدّثة المعاصرة أو قصيدة النثر، فليس بينهم شاعر واحد كتب قصيدة النثر،
وليس بينهم من يشغل صفحات الشعر في المجالات المتخصصة، أو يشغل
صفحات ونصوص النقاد المعاصرين.

وحينما سأل الباحث الطلبة عن سعدي يوسف ومحمد الماغوط وأدونيس
وسامي مهدي، امتنع عن الإجابة (58) طالباً، واعترف (55) طالباً
بمجهوليتهم، وأجاب (47) طالباً إجابة خاطئة مختلفة (كتاب / 21 ، علماء
/ 10 ، رياضيون / 7 ، مطربون / 5 ، ممثلون / 4)، وأجاب (40)
منهم إجابة صحيحة. ومع قلة هذه النسبة من الإجابات الصحيحة، فالباحث
شك في هذا العدد، وربما ساعد الطلبة في الإجابة الصحيحة سياق أسئلة
الاستبانة المتعلقة بالشعر، فحزر بعض الطلبة أنهم شعراء، هذا إذا لم يعلمهم
أحد، أو لم يعلم بعضهم بعضاً.

إن (19) طالباً من مجموع (200) من الطلبة المتخصصين
بدراسة اللغة العربية والأدب يقرؤون لثلاثة شعراء معاصرين، يشير إلى ضحالة
مستوى الثقافة الأدبية المعاصرة عندهم، فكيف الأمر حين تكون الاستبانة
موجهة لعامة طلبة الجامعات العراقية من التخصصات الأخرى أو طلبة

الإعداديات؟ وما هو مستوى اهتمام عامة الناس من غير الطلبة بالشعر المعاصر!! وما هو مستوى تلقي الشعر العربي المعاصر في العراق!!

3. مناهج الدراسة وتلقي الشعر المعاصر:

لقد أولت المناهج الدراسية اللغة العربية وأدبها حصة وافرة، في مختلف مستويات التعليم، ابتداءً من رياض الأطفال والصفوف الأولى من الابتدائية، حيث يعد المعلمون الأناشيد المادة والوسيلة الأولى في التعليم وفي التربية أيضاً، فيقرؤون هذه الأناشيد أمام التلاميذ ويحفظونها لهم. وإذا كانت بعض هذه الأناشيد باللغة الفصحى، فإن كثيراً منها باللغة الدارجة. وهو نشاط يقوم به المعلم خارج الكتاب المدرسي لجذب التلميذ إلى رحلة الدرس، وطرد الملل والخوف وغير ذلك مما يعانيه التلميذ في أيامه الأولى.

وعلى المستوى الرسمي، فإن كتب القراءة في المرحلة الابتدائية حافلة بالقصائد المناسبة لأعمار التلاميذ، والغالبية العظمى منها لشعراء العصر الحديث ولشعراء معاصرين ممن كتبوا للطفل. واختيار هذه القصائد في كتب القراءة في المرحلة الابتدائية، لا يخضع للمعايير الفنية بقدر ما يخضع لأمر تتعلق بفلسفة الحكومة في التربية، وأهداف التعليم في هذه المرحلة.

ولا تخلو كتب (المطالعة والنصوص) في المرحلة المتوسطة، من الخضوع لما أشرنا إليه، ولكنها تشير بشكل عام نحو عرض أنواع مختلفة من الأدب، شعراً ونثراً. والسمة الغالبة على الشعر في كتب المطالعة والنصوص للصفوف المتوسطة هي نماذج الشعر التقليدي العمودي، باستثناء خمسة قصائد في كتاب الأدب والنصوص للصف الثالث المتوسط، وهي لنازك الملائكة والسياب والبياتي ولميعة عباس عمارة وغازي القصيبي⁽¹⁾ والملاحظ

(1) ينظر الأدب والنصوص للصف الثالث المتوسط: 36، و 47 و 49 و 51 و 57.

أنهم من شعراء مرحلة الرواد . أي إن الطالب يتخرج من المرحلة المتوسطة ولم يطلع إلا على خمس قصائد من الشعر الحر، كلها تعود لمرحلة الرواد. وتحرم عقلية الطالب من تصور نموذج واحد لقصيدة معاصرة لشاعر من الذين يكتبون في الجرائد والمجلات الشائعة، أو الذين تحتفي أمسيات فروع اتحاد الأدباء العراقيين بهم. إن اختلافاً ظاهراً واضحاً بين ما يقدمه الكتاب المدرسي للشعر وبين ما تقدمه الساحة الثقافية الشعرية المعاصرة من أسماء شعرية و قصائد قد تختلف اختلافاً كبيراً عما يتصوره التلميذ في القصيدة، أو لنقل ما يفترضه فيها.

أما في الإعدادية فيتخصص الصف الرابع والصف الخامس بدراسة الأدب القديم، ويعطى الطالب شيئاً من الأدب الحديث في الصف السادس الإعدادي، حيث يخص أكثر من نصف كتاب الأدب للشعر ويعطى نماذج من شعر الرواد ومن شعراء الستينات. فضلاً عن قصائد الشعر التقليدي التي يمتلأ بها هذا القسم ابتداء من شعراء النهضة حتى ما بعد الشعر الحر.

إن قلة اهتمام المناهج الدراسية في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية بالشعر المعاصر، وكثرة اهتمامها بالنماذج القديمة والتقليدية من الشعر، تعكس ضعف اهتمام واضعي هذه المناهج بالشعر المعاصر، كما تعكس لا مبالاة المؤسسة التربوية والتعليمية تجاهه، وكذلك تعكس ضعف اهتمام معلمي هذه المواد ومدرسيها، ومن ثم تلامذتهم.

وقد تكون هذه الظاهرة التربوية معقولة بشكل ما، في هذه المراحل الدراسية المتقدمة، بل في مراحل الدراسة اللاحقة أحياناً، حينما تدرّس بعض أقسام الكليات مادة (العربية لغير الاختصاص)، فيكون التركيز في الشعر

على صورته القديمة والتقليدية، مع استبعاد الشعر المعاصر. قد تكون هذه الظاهرة مقبولة بشكل أو آخر، ولكن الباحث لا يرى وجهاً من المعقولية، حينما نجد الظاهرة نفسها، وهي شائعة بفداحة في الأقسام المتخصصة باللغة العربية وآدابها، على مستوى الدراسة الأولية والعليا.

فقد وزعت أقسام اللغة العربية دراسة الأدب على المراحل الدراسية الأربع في كليات الآداب والتربية وفق العصور. إذ يدرس الأدب القديم لطلبة المراحل الثلاث، ويخصص الأدب الحديث للمرحلة الرابعة. وإذا كان الشعر يشكل الجزء الأكبر في دراسة العصور الأدبية القديمة، فإن الشعر الحديث أخذ جزءاً قد يكون متساوياً مع أنواع أدبية أخرى كالمقالة والمسرحية والقصة، لذا فإن الغالب في دراسة الأدب الحديث أن الشعر يتوقف تدريسه عند مرحلة رواد الشعر الحر دون أن يتعداها، لاسيما في كليات التربية التي تخصص وقتاً من الفصل الدراسي الثاني في مقرر التطبيق.

وفي الدراسات العليا يوضع مقرر للشعر أو الأدب القديم، ولا يوضع للشعر المعاصر. وينعكس ذلك في موضوعات رسائل وأطاريح الدراسات العليا: فما بين سنة 2002 إلى 2005 نوقشت في جامعة الموصل (202) رسالة وأطروحة في قسم اللغة العربية في كليتي الآداب والتربية، كان (40) منها في الشعر القديم و (6) في الشعر الحديث و (3) فقط في الشعر المعاصر⁽¹⁾. وفي جامعة البصرة نوقشت (125) رسالة وأطروحة بين سنة 2003 وسنة 2007 ، كان (25) منها في الشعر القديم، و (11) في الشعر الحديث، و (3) فقط في الشعر المعاصر⁽²⁾.

(1) موقع جامعة الموصل على الشبكة الدولية للمعلومات (الأنترنت).

(2) موقع جامعة البصرة على الشبكة الدولية للمعلومات (الأنترنت).

من خلال هذا العرض السريع الموجز، يتبين أن الظاهرة الواضحة في درس الأدب في مختلف المستويات الدراسية، بما في ذلك المستويات المتخصصة، هي الاهتمام بالشعر القديم وضعف الاهتمام بالشعر المعاصر، ولا يفسر هذا الضعف إلا بضعف تلقي القارئ على هذه المقررات الدراسية للشعر المعاصر، مما جعل ذلك واحداً من أهم مظاهر ضعف تلقي الشعر المعاصر، وفي الوقت نفسه، كان ذلك سبباً مهماً فيه، لأهمية المقررات الدراسية والمناهج في تكوين المرجعية الشعرية للطالب، ومن ثم المجتمع.

4. نشر الشعر: إن تقلص اهتمام عامة الناس بالشعر، انعكس على المجالات الثقافية للكتب التي يطبعها الناشر ويروجونها، فالنشر كما هو معروف سوق تجارية، تعتمد خططها على مستوى الطلب، وتحاول إشباعه بما تعرضه من مطبوعات. ويؤثر مستوى الطلب لكتاب معين في أعداد النسخ التي يوفرها الناشر في السوق، ويؤثر في إعادة طبع الكتاب أكثر من مرة. وقد وجد الناشر أن زوار عامة الناس عن كتب الشعر، ما جعلهم يفضلون طباعة كتب تهتم بموضوعات جماهيرية، ليس الشعر بينها، حرصاً على الربح المقصود.

ويرى أدونيس ((أن انعدام الاهتمام الكبير بالشعر في الوقت الحاضر، لا يعني أن هذا المجال من مجالات الفن قد اندثر، فشيوع الشعر إذا ما قسناه بالمعايير الكبيرة المعاصرة صغير، بيد أن استجابته تكفي لدعم نشر عدد كبير من القصائد الشعرية في الكتب والدوريات))⁽¹⁾، بينما يعد عبد الستار جبر الأسدي هذا التناقض بين التراكم الشعري وقلة هضمه، مؤشراً على وقوع الشعر العربي في إشكالية التوصيل، ويعتقد أن الشعر المعاصر قد حظي ((بمساحة كبيرة من فرص النشر، حتى عدت هذه المساحة طغياناً شعرياً، يكتسح ساحتنا الثقافية)) ومع ذلك، فهو يرى كثيراً من الشعراء المعاصرين، ممن زرعوا

(1) مقدمة في الشعر: 6.

حضورهم بتربة التلقي ((يعانون من أنهم لم يأخذوا حقهم الكامل من الانتشار لا نقدياً ولا جماهيرياً...))⁽¹⁾.

ولا يجد الآخرون ضيقاً في الاعتراف بعدم اكتراث الناشرين للشعر، وإهماله من قوائم الكتب التي سيطبعونها، بل وصل الأمر ببعض الناشرين أن يتناقلوا من الحوار حول الموضوع، يقول خيرى منصور: ((.. بلاد يعزف فيها الناشرون عن الشعر ويتناقلون من مجرد الحوار حول طبع ديوان شعر...))⁽²⁾. وفات خيرى منصور أن هذه البلاد ليست بدءاً بين بلاد العالم. فالذي حصل في ما يبدو أن المجتمعات البشرية كلها قد اتفقت من حيث لا تدري على العزوف عن الشعر المعاصر. ففي أوروبا لم تعد دور النشر ((تجرؤ على طباعة ديوان شعر حديث إلا لشاعر حديث، وفي حدود نسخ قليلة، لا تتجاوز الألف وخمسمئة نسخة، بالنسبة لبلد قارئ مثل فرنسا التي يبلغ عدد سكانها (56 مليوناً تقريباً، أما الشعراء الجدد فلا أمل لهم في الظفر بهذا الحظ السعيد، إلا بعد أن يكرسوا أسماءهم في الصحف الأدبية المعتمدة كشعراء مجيدين، تعترف بهم الأوساط الأدبية، وإذا قبلت دار نشر مجموعتهم، فهي لا تطبع منها في المرة الأولى أكثر من ألف نسخة... وفي العام الواحد لا يصدر في فرنسا أكثر من ست مجموعات شعرية جديدة))⁽³⁾. يقابل ذلك كما يؤكد صاحب المقال طبع عشرات الألوف من النسخ سنوياً لأمثال: لامارتين وفكتور هيجو والفرد دي موسيه وشاتوبريان. بما يفيد أن عدم الإقبال في القراءة ومن ثم في النشر ينحصر في الشعر الحديث.

(1) الشعر العربي المعاصر وإشكالية التوصيل (بحث).

(2) أبواب ومرايا: 115.

(3) ربيع الشعر أم خريفه (مقال).

وإذا بحثنا عن دور النشر التي تهتم بالشعر العربي الحديث فنجد أن معظمها ليست دوراً تعتمد قاعدة العرض والطلب، وإنما هي دور حكومية، تمدّها ميزانية الدولة بإمكانات، غير محدودة، لذا نجدها تواصل نشر هذا الشعر دون تردد، وخير مثال على ذلك: إتحاد الكتاب العرب في دمشق، حيث كان مجموع ما أصدره من الشعر الحديث حوالي (275) مجموعة شعرية وديوان بين سنة 1997 و 2006. يقابلها (68) رواية، و (50) نصّاً مسرحياً، و (181) مجموعة قصصية، و (60) نصّاً للطفل بين قصص وشعر، خلال الفترة المذكورة نفسها، ومنه نلاحظ مستوى النشر الفائق الذي حظي به الشعر الحديث في هذه المؤسسة، حيث لم تفقه عدداً إلا الدراسات التي بلغ عدد الصادر منها خلال هذه الفترة (295) كتاباً⁽¹⁾، وهو تفوق عددي بسيط يمكن إهماله.

وفي بلدنا العراق أصدرت وزارة الثقافة والأعلام في السبعينات والثمانينات سلسلتان تتعلقان بالشعر الحديث، هما (سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث)، وسلسلة (كتابات جديدة). وفي الثمانينات وظفت الحكومة إمكانات الدولة لإصدار سلسلة (ديوان المعركة) وفي التسعينات أصدرت سلسلة (ثقافة ضد الحصار . السلسلة الشعرية).

إن هذا الاهتمام الحكومي بالشعر، لا يعبر في الحقيقة عن شعرية هذه الحكومات، أو شعرية الشعب الذي تحكمه، بقدر ما يعبر عن حالة الاستنفار القصوى التي تنفخ أبواقها هذه الحكومات، لتعبئة شعوبها وتوجيههم الوجهة المتناسبة مع سياسة الحزب الحاكم آنذاك، مسخرة الشعر لخدمة الأهداف الإعلامية للحزب وحكومته.

(¹) موقع إتحاد الكتاب العرب . دمشق، على الشبكة الدولية للمعلومات (الأنترنت).

وقد يفيد في هذا المجال الاطلاع على مواقع دور الكتب العربية في شبكة الاتصالات الدولية (الأنترنت)، وبالتحديد ملاحظة الكتب الأكثر مبيعاً فيها، حيث أن المجال الثقافي أو المعرفي الذي يزداد الطلب على كتبه، هو المجال الأكثر ربحاً لهذه المؤسسة، ومن ثم يكون التركيز عليه في طبع وإصدار الكتب. ونأخذ أمثلة بسيطة وسريعة على تأكيد استبعاد دور النشر . جزئياً أو مطلقاً . للإصدارات الشعرية من حساباتها:

فدار الشروق (وهي دار طباعة ونشر، أسست عام 1968 في القاهرة، ثم كان لها فرع في بيروت، وتعد من أهم دور النشر العربية، لما حصدته من جوائز عالمية في مجالها، وهي أول دار نشر عربية اشتركت في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب) ثبتت في موقعها الإلكتروني الكتب الأكثر مبيعاً للعام (2007)، وكانت (10) كتب، جاء في الترتيب السابع منها مجموعة (كأن العمر ما كان) لفاروق جويذة (وهي مجموعة من القصائد العاطفية الغزلية وقصائد الحب، كتبت بالأسلوب التقليدي للشعر العربي، خارجة على سياقات الحداثة الشعرية، شكلاً ومضموناً)، ونالت الروايات حصة وافرة من المبيعات بثلاث منها، أخذت الترتيب الأول والثالث والثامن، ثم كتب التاريخ بثلاثة كتب أيضاً للترتيب الخامس والتاسع والعاشر، ثم الموضوعات الاجتماعية بكتابين أخذوا الترتيبين الثاني والرابع، ويسبق الشعر بالترتيب السادس كتاب في الطبخ. وإذا أخذنا مجموع ما أصدرته الدار من مجاميع شعرية لشعراء القرن العشرين منذ أحمد شوقي، فهو (70) مجموعة وديوان خلال الأعوام من 1983 إلى 2007 ، ما معدله (2,8 %) للسنة الواحدة، مقابل (230) للإسلاميات و (220) لكتب السياسة، و (129) للروايات⁽¹⁾.

(¹) موقع دار الشروق على شبكة الدولية للمعلومات (الأنترنت).

ومتابعة الكتب الأكثر مبيعاً في دور أخرى، توضح فقر رصيد الشعر في البيع ومن ثم في النشر، وقد أخذ الباحث عينة اعتباطية لأربعة دور نشر ونظر في الكتب الأكثر مبيعاً، فوجد (مكتبة الفرات) تذكر أربعة كتب⁽¹⁾، و (دار البلاغ) تذكر سبعة⁽²⁾، و (دار العلم للملايين) تعد عشرين كتاباً⁽³⁾، و (مكتبة النيل والفرات) تعد ستة⁽⁴⁾، والملاحظ أن هذه الكتب ليس بينها مجموعة شعرية أو ديوان شعري واحد على الإطلاق.

إن هذه الأعداد تبين بصدق موقع الشعر في الحياة الثقافية العربية، وتراجعها عن مركزيته فيها، وانشغال المجتمع عنه بغيره من مجالات الحياة الثقافية والعملية والمعرفية، بما يدهش المتأمل، مقارناً ما كان يشغله الشعر قديماً في حياة العربي، وما يمثله له في هذا العصر.

أما على مستوى النشر في المجالات والجرائد العراقية، فليس هناك مجلة عراقية خاصة بالشعر، لا سابقاً ولا الآن، وقد صدرت مجلات مثل الأقلام والطليعة الأدبية وأسفار، أعطت للشعر حصة مقبولة، إلا أنها من المجالات المتخصصة بالأدب، مما لا يقتنيه غير المبدعين والدارسين أما المجالات العامة، فبعضها ينسى تماماً أن هناك فناً اسمه الشعر، وأفضلها في هذه المعادلة، ما يعطي جزءاً صغيراً أو كبيراً من صفحة ما للشعر. كما أخذت حصة الشعر تتضاءل في الجرائد العراقية، بشكل متسارع، لتفسح المجال واسعاً أمام المقالات النقدية والثقافية والقصة القصيرة، وغيرها من الموضوعات ذات العلاقة، حتى وصل الأمر إلى رفع الصفحة الثقافية بكل موضوعاتها من

(1) موقع مكتبة الفرات على الشبكة الدولية للمعلومات (الأنترنت).

(2) موقع دار البلاغ على الشبكة الدولية للمعلومات (الأنترنت).

(3) موقع دار العلم للملايين على الشبكة الدولية للمعلومات (الأنترنت).

(4) موقع مكتبة النيل والفرات على الشبكة الدولية للمعلومات (الأنترنت).

الجريدة اليومية، وإصدارها بملحق أسبوعي خاص يتضمن من ضمن ما يتضمنه الشعر، كما هو الحال مع جريدة (الصباح)، إذ إن الشعر ما عاد حاجة يومية، يتطلبها الفرد العراقي في هذا العصر.

5. الملتقيات والمهرجانات الشعرية:

لا يخفى أن الشعراء حرصوا منذ أقدم العصور، على أسماع صوت الشعر لأذان المتلقين من محبيه، وقد كانوا يتوسلون الأسواق الأدبية والمجالس الخاصة والعامة، المؤقتة والدائمة، لتحقيق ذلك الهدف. وقد ازدهرت هذه الملتقيات في العصور القديمة، بما يمكن عدّ ذلك عاملاً مهماً من عوامل التلقي. وفي عصور النهضة الحديثة، اتخذت هذه الملتقيات أماكن وتسميات جديدة، كالصالونات والمقاهي والتجمعات والمجامع الأدبية، بما يعني أن هذه الملتقيات استمرت في تأدية وظيفتها للتلقي، كما استمرت المجالس الخاصة والعامة، تؤدي هذه الوظيفة في القصور والمدارس الدينية، وعقدت المحافل للمناسبات الاجتماعية والدينية والوطنية في المقاهي والساحات العامة والمنتديات الاجتماعية والأدبية. وإلى عقود قريبة كانت المدارس الحكومية، ترعى الطاقات الشابة لطلبتها المبدعين، بما تقيمه من مهرجانات متعددة في السنة الدراسية الواحدة، يتألف جمهورها من الطلبة أنفسهم، يستمعون لما يلقي من شعر متفاعلين مع الشعراء إعجاباً وتأثراً. كما تعقد المؤسسات الحكومية احتفالياتها المحلية، لاسيما مديريات التربية، غالباً ما يكون أبطالها من منتسبيها معلمين ومدرسين، حتى كان أبرز شعراء العراق من هذه الشريحة.

وظهرت المجامع الأدبية، وأخذت تعقد جلساتها الدورية المحلية، ومهرجاناتها السنوية، على المستوى الوطني والقومي والعالمي، بما يثير الاهتمام الحكومي الواسع وغير الحكومي، تسخر فيه إمكانات الدولة المادية والإعلامية، من صحافة وإذاعة وتلفزيون، كما هو الحال في مهرجان المربد،

وتحاول الأنظمة استثمار هذه الملتقيات خدمة لأغراضها السياسية، أمام الرأي العام العالمي، ولتعبئة الجماهير الوطنية الغفيرة التي تحضرها، من أجل تعبئتهم لغايات تتناسب مع سياستها.

وقد كانت الجماهير تشترك بحضورها مثل هذه المهرجانات، يتابعون وقائع برامجه، ينشدون مع هذا، ويزهدون مع الآخر، ويحفظون قصيدة فلان، ويتناقلون قصيدة علان، ويهملون قصيدة أخرى، تأثراً وإهمالاً وطرباً ورفضاً، يقول شوقي بغدادي، وهو يتحدث عن ذكريات المربد الثالث، أوائل السبعينات، واختياره ضمن سبعة شعراء، للإلقاء أمام ((آلاف الطلبة الجامعيين العراقيين في مدرج لم أر أوسع وأحفل منه بالبشر، وهناك التقينا، وتجاوب معنا الجمهور الكبير، تجاوباً لم أشهد له مثيلاً في البصرة))⁽¹⁾. فالميزة المهمة في هذا النوع من التلقي أنه تلقى مباشرة من فم الشاعر، وأن المتلقي يعيش فيه لحظة من التلقي الجماعي الذي يضعه في بركان التأثير الجماعي.

وقد بدأت في الآونة الأخيرة، تتخفف هذه الملتقيات من حماستها، ويخف جمهورها مقتصرة على المبدعين والنقاد والمتخصصين، وأظهر المجتمع ازوراراً واضحاً عنها، يتجلى بقلّة الحاضرين من غير المذكورين، وضعف انتباه وإصغاء جمع الجمهور بشتى أصنافه للشعر الذي يقرأ، قياساً لانتباههم للترتيبات الفنية والإدارية للملتقى، وأن الحضور أصبح فيها إسقاط فرض أو للمجاملة أو أشبه بالواجب تجاه الذات كون الحاضر من المشتغلين بالأدب بحثاً أو إبداعاً، وأشبه بالواجب الاجتماعي مراعاة للمبدعين وتواصلهم معهم إكراماً للعلاقات الشخصية. يقول بشير العاني: ((إذا كان معيار انفتاح الشعر على الناس، هو إقبالهم على الشاعر وعلى قصائده، فإن التجربة تثبت بأن الحداثيين أبعد الناس عن بعضهم، وأقلهم تواجداً في قاعات الشعر، حتى صار

(1) المرید محاصراً (مقال).

حضور أمسية شعرية، بمثابة الضرورة أو الواجب الاجتماعي، الذي تمليه عليه المعارف الشخصية⁽¹⁾). وقد حضرت بعض الملتقيات الشعرية، وتحديدًا أمسيات يقيمها إتحاد الأدباء والكتاب/ فرع ميسان، وهو من الفروع النشطة بأمسياته الدورية، ولم يكن عدد الحاضرين يزيد على الثلاثين، بضمنهم القائمون على تنظيم الأمسية وإدارتها، أما الباقون فكانوا من الأدباء أنفسهم، حتى كأن بعضهم يصفق لبعض، ويقابل ذلك الأعداد الغفيرة، التي قد تتجاوز المئتين حينما تقام أمسية للشعر الشعبي في حدائق شارع دجلة، التي غالباً ما يحضرها جمهور دون دعوة، ودون ضيافة، ووقفاً على حديد سياج الحديقة. يقول علي الحلبي: ((إذا كانت المؤتمرات والمهرجانات والأسواق الشعرية والمسارح والكرنفالات الموسمية ووسائل الإعلام مباشرة وجاهزة للاستقبال والإرسال معاً... تحقق فيما مضى وإلى زمن قصير على أحسن تصوير... محلياً أو قارياً أو دولياً نجاحات مشهودة، وإثباتات تاريخية.. إلا أنها في عالمنا المعاصر وفي المستقبل، وفي مقابل التطور العلمي الباهر، لم تعد سوى معطيات، ذات تأثير موضعي باهت، ينتهي مفعوله بعد فترة قصيرة، أو يموت ويختفي تماماً، فور ارفضاض الجلسات والاجتماعات، أو بعدها بفترة وجيزة⁽²⁾). وقد سبقنا الأوروبيون في تناقص اهتمامهم بهذه الملتقيات، فقد نقل شوقي بغدادي ما قالت له إحدى السيدات البلجيكيات العاملات في مجال تنظيم الاحتفالات والأمسيات، من أن الشعر لم يعد مرغوباً به بين الجماهير الواسعة، في الحفلات العامة، ولكنهم يحتالون لتقديمه أحياناً بين الفقرات الموسيقية والغنائية، وفي حدود خمس دقائق للشاعر الواحد⁽³⁾). كما ينقل علي الحلبي

(1) عزلة الشعر عزلة الوهم (بحث).

(2) الشعر ووسائل الإعلام الحديثة (بحث): 6 . 7.

(3) ينظر ربيع الشعر أم خريفه (مقال).

بطرافة أسلوبه، وقائع مؤتمر للشعر الأوربي في بروكسل ببلجيكا عام 1964، ويقول أنه فوجئ بإهمال الإذاعة والتلفزيون للمؤتمر، وانشغالهما الشغوف والمتحمس بنقل وقائع سباق الدراجات الهوائية، وقد أبدى استغرابه من وقائع المؤتمر، فقد كان عبارة عن طاولة طويلة، عرضت عليها المؤلفات المطبوعة لكل شاعر، وهكذا ينتهي المؤتمر نهايته البائسة⁽¹⁾. وينقل بشير العاني تحمس الشاعر العراقي فاضل العزاوي لحضور أمسية شعرية في ألمانيا، وحينما دخل القاعة لم يجد فيها سوى الشاعر وصديقه⁽²⁾.

إن الإصرار أحياناً على عقد مثل هذه الملتقيات، بل الإكثار منها، يمكن عده محاولة يائسة لاسترجاع الجمهور إلى الشعر المعاصر، الذي أضل الطريق إلى عامة الناس ومتعلميهم، وعدم اهتمام هؤلاء بحضور هذه الملتقيات، يؤثر مظهراً واضحاً من مظاهر انسحاب الشعر من مركزيته في الثقافة الفاعلة للمجتمع العربي والعراقي.

6. المكتبات الشخصية واقتناء الكتب والاستعارة:

حين نتحدث هنا، لا نعني مكتبات المتخصصين، أو مكتبات المبدعين من النقاد والأدباء والشعراء وأمثالهم، وإنما ما تعارف عليه المجتمع العراقي من أن يكون في البيت زاوية للكتب، توضع في مكان مهم غالباً ما يكون في غرفة الضيوف، ووجودها في البيت العراقي يشير إلى نوع من الاهتمام بالثقافة والمعرفة، وأن أهل هذا البيت ليسوا من الجهلاء والأميين.

لذلك يعتمد صاحب الدار أو أولاده إلى اقتناء الكتاب ذي التجليد الجميل الذي يصلح أن يكون تحفة تعرض ويراها الآخرون، وكلما كان الكتاب ضخماً مؤلفاً من مجموعة من المجلدات، كان أدعى لتحقيق الهدف

(1) ينظر الشعر ووسائل الإعلام الحديثة (بحث) : 8 . 9 .

(2) عزلة الشعر عزلة الوهم (بحث) .

الاجتماعي المشار إليه، ولكننا إذا حاولنا جرد الكتب المعروضة فإننا سنجد كتب الدين والتاريخ والتأليف التراثية والقصص والروايات، وقلما يكون من بينها دواوين أو مجاميع شعرية، وإن وجدت فغالباً ما تكون لشعراء قدماء، ومن النادر أن نجد مجموعة لشاعر معاصر. وللحقيقة أذكر أنني سألت بعض الشعراء المهتمين بالشعر المعاصر عن مجاميع الشعراء العراقيين، فأخبروني بقلتها المتميزة في مكتباتهم الشخصية قياساً بالكتب الأخرى، ووجهت السؤال نفسه لبعض المتخصصين من أساتذة اللغة والأدب، ووجدت الجواب نفسه.

يقول علي الحلبي: ((كان الناس لا يولون أهمية خاصة للشعر وقضاياه إلا من خلال التطرق إلى التاريخ الأدبي وبشكل عابر... أما مكتباتهم الخاصة، فلا تحوي سوى التراث الشعري القديم، كما تحفظ الأواني النحاسية الصديئة للذكرى))⁽¹⁾.

وعلى هذا الطريق نفسه نظرنا في استمارات الإعارة الخاصة بمكتبات الإدارة المحلية في مراكز محافظات البصرة وذي قار وميسان، فأخذ الباحث من كل مكتبة سجلاً يحتوي على مئة استعارة، بما يعني أن العينة تشمل (300) مستعير، بهدف الوقوف على موقع الشعر عامة والشعر المعاصر بشكل خاص في اهتمامات المستعيرين من هذه المكتبات. فوجد أن (104) من العينة استعاروا كتب اللغة والدراسات الأدبية، أي بما نسبته (34,6 %) منهم (أكثرها كتب النحو واللغة والبلاغة، وأقل منها بكثير الدراسات النقدية)، و (57) استعاروا كتب التاريخ، أي بنسبة (19 %)، و (34) كتب العلوم بنسبة (11,3 %)، و (25) كتب الدين بنسبة (8,3 %)، وأخذت الكتب الفكرية (23) مستعيراً بنسبة (7,6 %)، ثم جاءت الدواوين والمجاميع الشعرية التي أخذت (20) مستعيراً ما نسبته (6,6 %)، بعدها جاءت كتب

(1) الشعر ووسائل الإعلام الحديثة (بحث) : 8.

المعارف العامة (17) مستعيراً بنسبة (5,6%)، والاقتصاد (11) بنسبة (3,6%)، وأخيراً كتب القانون (9) بنسبة (3%) .

أي أن استعارة الدواوين والمجاميع الشعرية، جاءت بالمرتبة السادسة من تسع مراتب في مستوى الاستعارة، ما يؤشر ضعف الاهتمام الاجتماعي بالشعر، مع أن هذا المستوى الضعيف يشمل الشعر القديم أيضاً، بل إن أكثر من ثلاثة أرباع الاستعارات الخاصة بالشعر هي للشعر القديم، وليس بينها سوى (3) استعارات للشعر المعاصر ما نسبته (1%) فقط من العينة الكلية.

ومع ضعف هذه النسبة، فإن الاستبانة حاولت التعرف على الهدف من الاستعارة، وقد كان الهدف البحثي هو الهدف الغالب على أهداف الاستعارة بنسبة عالية بلغت (64,3%) .

إن ذلك يؤشر مستوى اهتمام الناس من المتعلمين القارئین بالشعر المعاصر، ويشير إلى أنه في تناقص مستمر، والأمر نفسه يتكرر في المجالات واقتنائها، فالمجلات العامة أكثر شيوعاً واقتناء من المجالات الأدبية التي لا يحرص عليها سوى المتخصصين من الدارسين، وسوى المبدعين من الأدباء.

7. موقع الشعر في الأغنية:

إن الأغنية شعر يؤدي على أنغام الموسيقى بصوت جميل، ولا يمكن تصور أغنية دون شعر، فارتباطهما إذن ارتباط تكوين وبناء، وقد شاعت الأغنية مؤخراً بدرجة كبيرة، أشبهت شيوع الشعر في المجتمع القديم، وأصبحت من الخطابات الفاعلة على حد تعبير عبد الله الغزامي⁽¹⁾، حتى طغى شيوعها وتأثيرها على مجمل الأنواع الفنية السائدة في المجتمع المعاصر، وقد استطاعت الأغنية أن تصنع لها جمهوراً عريضاً في كل بلاد العالم، بما لا

(1) ينظر النقد الثقافي: 14.

يعترف بحدود سياسية للبلدان ولا باختلاف لغات، جمهوراً متقانياً في حبها والمبالغة في الاستماع لها ومشاهدتها متفاعلاً بشتى أنواع التفاعل، فهذا يغني مع مغنيها وهذا يرقص جسمه معها، وهذا يحفظها كلمات وأنغاماً، وآخر يذوب حين يسمعها. ويعد الدكتور إحسان عباس الأغنية وسيلة من وسائل تربية الذوق العام، وإن كانت على غير ما يريده الشعر الحديث، كما يعدها من العوامل الأساسية التي كانت تشكل خطأ دفاعياً ثانياً بعد كبار الأدباء والنقاد المعارضين للشعر الحر إبان صراعه مع الشعر التقليدي⁽¹⁾ وقد تجاوزت الاستجابة للأغنية الحد إلى الاستجابة للمغني، فنرى متلقي الأغنية لاسيما من الشباب والمراهقين يعشقون شخصية المغني، بل يهيمون بها ويقلدونها في السلوك حركة وملبساً وقصة شعر وطريقة كلام ..الخ. وقد سمع الجميع أن وفاة عبد الحليم حافظ قد دفعت كذا من الشباب إلى الانتحار، بما لا يطمع شاعر أن يحرز عشر عشر هذا العدد.

والملاحظ أن هذا الجمهور المتلقي للأغنية ينتبه إلى تفاصيلها كلها المسموعة والمرئية، ويركز بشكل خاص . كما قدمنا . على المغني: أخباره الفنية، وإنجازاته، ومشاريعه الفنية المستقبلية، وأماكن حفلاته، وعدد اسطواناته، ومن تعامل معه من الملحنين والمنتجين والمخرجين، وأخباره الشخصية: أصله وفصله ومواليد ومسقط رأسه، وحالته الاجتماعية، وعدد أصحابه وصوحيباته، وما يكره وما يحب .. وتفاصيل أخرى مفيدة وغير مفيدة. أما الشاعر فإن الجمهور غالباً ما لا ينتبه له، بل كثيراً ما يجهل اسمه، والأغنية المعاصرة معروفة بمغنيها كما لا يخفى، مع أن دور شاعر كلماتها، لا يقل عن دور المغني. ونجد هذا الإهمال واضحاً، كما يقول علي الحلي حتى في مجال

(1) ينظر اتجاهات الشعر العربي المعاصر: 21 . 22.

الإعلان في وسائل الإعلام عن الأغنية⁽¹⁾، فالحيز الأكبر للمغني دائماً سواء كان إعلاناً صوتياً أو مكتوباً، فاسم المغني يخط بالقلم العريض، أما غيره من شاعر وملحن ومخرج، فيتزاحمون في صفحة واحدة. يقول د. شاكر عبد الحميد إن أكثر الأغاني مما يقدم ((يعتمد على الإبهار البصري، على رغم فجاجة الكلمات وسطحيتها في أحيان كثيرة... لم تعد هذه الأغاني ترتبط بمنطقة الكلمة أو العقل أو المشاعر...))⁽²⁾.

وجدير بالذكر هنا أن كتاب الأغاني لأبي الفرج، يحمل عنوانه دلالة واضحة على موضوعات الكتاب، ولكن مؤلفه استغرقه في تراجم الشعراء وأخبارهم وأشعارهم بأجزائه كلها، أما نصيب الأصوات المغناة والمغنين وأخبارهم، فكان جد ضئيل. مما يعني أن الاهتمام في الغناء كان منصباً على صاحب الكلمات.

إن سلوك المجتمع العربي والعراقي تجاه الأغنية بما قدمناه من تفصيل، الذي ينم عن إهمال لاواع، وجهل لا شعوري بالشاعر، يفسر بأن الشعر بدأ يترك المتن ويستقر في الهامش، بل يسقط أحياناً من هامش الحياة الثقافية للمجتمع، ولا شك في أن ذلك كان سبباً مهماً في الهبوط المستمر للمستوى الفني لكلمات الأغاني المعاصرة.

8. ضعف الوظائف اليومية للشعر:

لقد رأينا أن الشعر العربي قديماً، قد دخل في مجالات الحياة الكثيرة المختلفة المعرفية والاجتماعية، وتغلغل في تفاصيل الحياة الدقيقة لعامة الناس، أمّيتهم ومتعلميهم على السواء أما اليوم فلا نجد أثراً لهذا التداخل بين الحياة والشعر. لا في المجالات المعرفية للإنسان العربي، حيث استقلت المعارف

(1) ينظر الشعر ووسائل الإعلام الحديثة (بحث) : 14 . 15.

(2) عصر الصورة: 362 . 363.

والعلوم عن الشعر، فلاستدلال على ظاهرة طبيعية، أو تقرير حقيقة علمية، لا يُحتاج للاستشهاد بالشعر. ولا في مجالات التعليم، حيث استبدل الشعر بوسائل وتقنيات حديثة متطورة أغنت المتعلمين عن الشعر، اللهم إلا في اختصاصات بعينها كاللغة والأدب. ولا تحتاج خطبة السياسي للشعر لتعبئة أتباعه، وليس من المميز أن يطرز الصحفي مقالته به، لتطير بموضوعه في الآفاق.

كما فقد أثره في مجالات الترفيه والتسلية وطلب الترويح عن النفس بوجود وسائل أكثر وأسرع وأيسر تحقيقاً لهذه الغايات، فليس في هذا الزمن من يطلب ملاحاة إخوانه شعراً، أو يناظر أقرانه، أو يحاورهم بنظم الأبيات، وليس في زماننا هذا من يطارد أكفاءه بأبيات الشعر، أو يتسابقون بمقدار المحفوظ، أو يجيز بعضهم بعضاً بالأبيات وأنصافها، ونادراً ما يستشهد متحدث ببيت من الشعر أو يتمثل به، وإن حصل فلا يكون الشعر الذي يؤدي هذه الأغراض وأمثالها من الشعر المعاصر، وإنما من الشعر القديم.

يقول طراد الكبيسي: ((كان الشعر منذ القدم يثير لدى الناس أعماق المتع، ولهذا اتخذوا من الشعر شكلاً لقصصهم وأساطيرهم وملاحمهم، وصلواتهم وأدعيتهم وتعاويذهم وأغانيهم، وملحة المجالس. وإذا كان البعض، أو كلنا فقد هذا الإحساس بمتعة الشعر، فاضعف صلتنا بالتقاليد والتراث من جهة، ولأن تعقد الحياة وكثرة المراتب المنغصة للروح المرح للإنسان المعاصر، أفقدته أو أضعفت لديه حس الابتهاج بفرص الحياة...))⁽¹⁾.

إن الإنسان العربي المعاصر قد فقد قابليته على الحفظ والاستظهار وسرعة البديهة في الاستشهاد بالشعر لتأدية الوظائف المعرفية والعلمية والتعليمية والاجتماعية والترفيهية. كما إن الشعر المعاصر غير قابل لإداء مثل تلك الوظائف كما كانت تؤدي بالشعر في عصوره القديمة. وإنه ((ليس من

(¹) سهول في قصص الاتهام: مقدمة طراد الكبيسي: 9. 10.

قبيل المصادفات العمياء أن لا تجد حتى من الشعراء المحدثين أنفسهم من يحفظ شعر نفسه ((¹)).

إن انتفاء هذه الوظائف اليومية، وعدم الحاجة لتأديتها شعراً، أنزل الشعر موضعاً قلت فيه الحاجة إليه، ومن ثم منزلته في المجتمع، ومكانته بين الأنواع الثقافية المنافسة الأخرى، الأمر الذي أضعف تلقي الشعر عند عامة الناس إلى هذا المستوى المتدني.

9. مكافأة الشعراء وجائزة نوبل:

لقد عرفنا في تاريخ الشعر أن معظم الشعراء كانوا يعيشون في أكناف الأغنياء الكرماء، الذين يغدقون عليهم الأعطيات والجوائز، ويجرون عليهم الأموال السنوية، والهبات السخية، وقد فعل ذلك الغالبية العظمى من الخلفاء، واستن بسنتهم موظفو الدولة العربية الإسلامية الكبار من الوزراء والكتّاب والحجاب وقادة الجيش، كما فعل ذلك الأغنياء الموسرون من وجهاء المجتمع في كل عصر.

وفي أوروبا العصور الوسطى حيث ساد نظام الإقطاع، كان النبلاء يمارسون الدور ذاته، فيرعون الشعراء، وبحلول عصر النهضة وبدء الثورة الصناعية بتحديث جوانب الحياة المختلفة، فقد الشعراء مكانتهم، فقد تسنمت وجاهة المجتمع طبقات صاعدة من البرجوازية، ممن ينظرون للحياة نظرة عملية، لا يحتاجون فيها إلى الشعر، فحاز الشاعر على استقلالته وبدأت ذاته تهيمن عليه وعلى أشعاره، حيث برزت الرومانسية.

وفي عصر الاستقلال العربي، لم يستطع الشاعر أن يعيش خارج أوضاعه السياسية والاقتصادية، فارتبط موضوعه الشعري بالسياسة، تأييداً ورفضاً. وقد استغلت السلطات العربية الجديدة الشاعر أبشع استغلال حيث

(¹) مع الشعراء: 84.

جعلت من الكثيرين منهم أبواقاً إعلامية، لتدبيج المدائح الطويلة من الثناء على هذا، وإطراء ذاك من الأصدقاء، ومهاجمة الآخر المعارض لسياساتهم، أو الرافض لأشخاصهم. ونال الكثير منهم الجوائز الغالية، والامتيازات العالية. ولم يكتف الساسة والقادة بهذا، فقد رصدت الحكومات الميزانيات، وأقامت مؤسسات السلطات المسابقات، إكراماً للفائزين. من وجهة نظر السلطات. من الشعراء.

ولا يشك الباحث في أن هذا الإجراء السلطوي في بلداننا الشرقية لم يكن وراءه تشجيع الشعر بقدر ما يسعى لتشجيع التقرب من السلطة إما بكسب قلوب الشعراء، ومن ثم حشد ألسنتهم إلى جانب جيوشهم الإعلامية، وإما لتكريم من يخدمهم ويدافع عنهم. لذا يصعب أن يفسر هذا السلوك من قبل الحكومات. كما يدعى إعلامياً. على أنه دعم للثقافة، في مركز ثقلها، وإن كان لابد من التفسير فقد يكون ذلك محاولة لإعادة الوظيفة التعبوية للشعر، كما كانت في سابق عهدها. ونستدل على ذلك بأن الحكومات الديمقراطية تضعف فيها هذه الظاهرة، وتقوى في ظل الأنظمة الديكتاتورية.

والملاحظ أن اهتمام الحكومات قد بدأ يضعف في تجنيد الشعراء، لاسيما في الغرب الديمقراطي، ففي أمريكا و ((منذ عام 1984 إلى هذا العام، اسقط الشعر من حساب جوائز الكتب القومية))⁽¹⁾.

ومتابعة أسماء من منحوا جائزة نوبل ما بين 1901 إلى 1991 قد تشير إلى معنى قريب من هذا على رأي جابر عصفور، إذ أن غلبة كتاب القصة على الشعراء بمعدل الضعف ملفتة للانتباه، فكل شاعر تقريباً يقابله كاتباً رواية على الأقل في حركة الجائزة⁽²⁾. ويشير هذا إلى المساحة التي

(¹) هل الشعر مهم؟ واقع الشعر الأمريكي (مقال): 72.

(²) ينظر زمن الرواية: 22. 24.

يشغلها الشعر في رقعة القرن العشرين قياساً بالقصة، ما يعني استشعار الهيئة المحكمة بضعف مستوى الاهتمام بتلقيه عالمياً.

10. اليوم العالمي للشعر:

اعتاد العالم على تخصيص يوم من السنة لمناسبة عزيزة على البشرية، يدعم فيها موضوع المناسبة دعماً عالمياً، ويحتفل به تقديراً لأهميته، وغالباً ما يكون ذلك للذي تخشى الإنسانية فقدانه وخسارته، لتهديد ماضٍ أو قائم، فكان اليوم العالمي للطفل، واليوم العالمي للمرأة.

ويبدو أن الرأي العام العالمي، والمنظمة الدولية، قد أحسوا بلا مبالاة الإنسان المعاصر بالشعر، وانحسار اهتمامه به، بالرغم من مكانته المركزية في ثقافة المجتمعات البشرية، فسمت يوم 21 آذار من كل عام (يوم الشعر)، ودعت دول العالم أجمع إلى الاحتفال بالشعر في الأسبوع المحيط بهذا اليوم. ويتساءل شوقي بغدادي: ((هل نعد هذه الإجراءات اعترافاً غير مباشر بأزمة الشعر عالمياً، وإنها تأتي لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من هذا الفن العريق الجميل المهدد؟))⁽¹⁾. يبدو أن الأمر كما يقول، فالشعر مهدد بالانقراض، والشاعر يكاد يختفي.

الخاتمة

إن الصفحات القليلة المارة تبين لنا أن الشعر قد فقد مكانته المركزية في بناء ثقافة الإنسان العربي والعراقي في هذا العصر، ففي الوقت الذي كان الشعر يشكل المتن الرئيس في حياة العربي، أصبح الآن موقعه في الهامش، وبدلاً من كونه علم قوم لم يكن لهم سواه، تحول اليوم إلى علم مقصور على جماعة محددة ممتهنة لممارسته أو متخصصة بدراسته، كما لم يعد هماً يحمله

(1) ربيع الشعر أم خريفه (مقال).

الواعون من أبناء الأمة لتعزيز القيم الأخلاقية أو الجمالية عن طريق تفشيهِ وشيوعه بين طبقات الشعب المختلفة، بل صار فناً أثرياً وتحفة ترصف مع غيرها في متحف المعرفة البشرية.

كما أن ما مر بنا ليس ظاهرة ثقافية عراقية، أو عربية، وإنما في ما يبدو أن ضعف تلقي الشعر في المجتمعات المعاصرة، وانحسار تأثيره فيها أصبح بجذارة ظاهرة عالمية، أشرتها ثقافات الشعوب المختلفة لاسيما المتحضرة منها، وهي وإن كانت لها جذور قديمة إلا أنها في الحقيقة من النتائج الجانبية للتطور الحضاري الذي يعيشه الإنسان، بما يمكن بحثه منفرداً في موضع آخر.

وإذا كان المجتمع العربي أو العراقي لم يصل إلى المستوى الحضاري للإنسان في البلاد المتطورة، إلا أن سلبيات هذه الحضارة قد تفشت بلادنا بشكل لا يختلف عن تفشيها في تلك البلاد، فقد أخذنا شيئاً ليس يسيراً منها، بما عاد علينا بأغلب سلبياتها، ومع ذلك فقد كانت قد بدأت عندنا قبل ذلك بكثير، وربما كانت بداياتها مع ظهور ثنائية اللغة، إلا أنها تعززت مع انتشار الأمية من جهة، ومن جهة أخرى مع ظهور البدائل الحضارية التي ملأت فراغ الإنسان العربي، الأدبية منها كالقصة والمسرحية والمقالة، أو الفنية كالأغنية والدراما التلفزيونية والسينما، أو العملية كالألعاب الرياضية والهوايات.

وفي جانب آخر فقد كان الشاعر من أول المسؤولين عن فقدان جماهيره، بما انتهجه من سبل أسلوبية معقدة، ومعان مبهمة مهومة في أجواء لا يستشعرها المتلقي، وقد حصل ذلك تحت شعارات الحداثة والتجديد غير المتناسبين مع حداثة وتجديد المجتمع العربي والعراقي، مما جعل الشعر في واد والمجتمع في واد آخر، لتتعرز القطيعة بينهما باختلاف السياقات الثقافية بين

الشاعر وجمهوره، وقد بالغ معظم الشعراء المعاصرين في تمثيلهم للحادثة الأدبية، وبذلك أفقدوا الشعر لذته المشتهاة، فعجز عن إقناع وإمتاع قارئيه.

المصادر:

1. الإبهام في شعر الحداثة . العوامل والمظاهر وآليات التأويل: د. عبد الرحمن محمد القعود، سلسلة عالم المعرفة (279)، مطابع السياسة، الكويت، 1422هـ / 2002 م.
2. أبواب ومرايا . مقالات في حداثة الشعر: خيري منصور، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1987 م.
3. أثر استعمال أسلوب المناقشة الثنائية في تحصيل طالبات الصف الرابع العام في مادة الأدب والنصوص: رسالة ماجستير، رجاء سعدون عبد الله، كلية التربية الأساسية . الجامعة المستنصرية، 2007 م.
4. اتجاهات الشعر العربي المعاصر: د. إحسان عباس، سلسلة عالم المعرفة (2)، الكويت، 1978 م.
5. اتجاهات الغزل في الشعر العراقي الحديث من 1945 . 1967 م: رسالة دكتوراه، سمير كاظم خليل، كلية الآداب . جامعة بغداد، 1407هـ/1987م.
6. الأدب والنصوص للصف الثالث المتوسط: د. سمير كاظم خليل وآخرون، ط3، شركة دار الحوراء، 1427 هـ / 2006 م.
7. أسئلة الشعر . حوارات مع الشعراء العرب: جهاد فاضل، الدار العربية للكتاب، د. ت.
8. أسئلة الشعر في زمن اللاشعر: رشيد بنحدو، مجلة عالم الفكر، مج 19 ع 4، يناير فبراير مارس 1989م. الكويت.

9. الأسس النفسية للإبداع الفني . في الشعر خاصة: الدكتور مصطفى سويف، ط4، دار المعارف، القاهرة، مصر، د. ت.
10. أما زال الغرب يقرأ الشعر: دانا دجوياء، مجلة القافلة، مج 56 ع6، نوفمبر ديسمبر 2007، السعودية.
11. بنية اللغة الشعرية: جان كوهن، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1986 م
12. تأملات في الحضارة والاغتراب: عزيز السيد جاسم، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1986 م.
13. الثابت والمتحول بحث في الإتياع والإبداع عند العرب(3 صدمة الحداثة): أدونيس، ط2، دار العودة، بيروت، لبنان، 1979 م.
14. جمهورية إفلاطون: نظلة الحكيم ومحمد مظهر الأسعد، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر، د. ت.
15. حديث الثلاثاء (القسم الثاني): أحمد عبد المعطي حجازي، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1408 هـ / 1988 م.
16. ديوان بدر شاكر السياب: دار العودة، بيروت، لبنان، 1971 م.
17. ربيع الشعر أم خريفه: شوقي بغداد، مجلة الموقف الأدبي، ع351، تموز 2000 م، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.
18. زمن الرواية: جابر عصفور، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، 1999 م.
19. سلطة القارئ في الأدب: محمد عزام، مجلة الموقف الأدبي، ع377، أيلول 2002 م، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.
20. سهول في قفص الاتهام: وسام هاشم، دار الشؤون الثقافية العامة، كتاب أسفار (4)، بغداد، العراق، 1994 م.

21. الشاعر والجمهور: د. علي شلش، سلسلة جلسات المريد الشعري (الشعر العربي عند نهايات القرن العشرين / المحور الثالث حول مستويات الاستجابة في الشعر العربي)، 1988 م، العراق.
22. الشعر العراقي . أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر: يوسف عز الدين، دار المعارف، القاهرة، مصر، د. ت.
23. الشعر العراقي في القرن السادس الهجري: مزهر عبد السوداني، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، 1980 م.
24. الشعر العربي المعاصر وإشكالية التوصيل . تمهيد ومقدمة: عبد الستار جبر الأسدي، مجلة الموقف الأدبي، ع43، كانون الثاني وشباط 2003 م، إتحاد الكتاب العرب، دمشق.
25. الشعر في عصر العلم: د. حسام الألوسي، ضمن إصدار بحوث المريد (مكانة الشعر في الثقافة العربية المعاصرة / محور الشعر في عصر العلم)، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1987
26. الشعر ووسائل الإعلام الحديثة: علي الحلي، ضمن إصدار (الشعر والمجتمع مختارات من الأبحاث المقدمة لمهرجان المريد الثالث)، منشورات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، 1974 م.
27. ضرورة الفن: أرنست فيشر، ترجمة أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، مصر، 1971 م.
28. عزلة الشعر عزلة الوهم: بشير العاني، مجلة الموقف الأدبي، ع422، حزيران 2006، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.
29. عصر الصورة . السلبيات والإيجابيات: د. شاكر عبد الحميد، سلسلة عالم المعرفة (311)، مطابع السياسة، الكويت، 1425 هـ / 2005

30. فاتحة لنهايات القرن: أدونيس، ط1، دار العودة، بيروت، لبنان، 1980 م.
31. فن الشعر (إحسان): فن الشعر: الدكتور إحسان عباس، ط4، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1987 م.
32. في أدب العصور المتأخرة: الدكتور ناظم رشيد، مكتبة بسام، الموصل، العراق، 1406 هـ / 1985 م.
33. في مهلب الشعر . مقالات ودراسات: د. نزار بريك هنيدي، منشورات إتحاد
34. الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2003 م
35. قراءات في رؤوس تحترق: نجوى وهبي، سلسلة كتاب الشباب، هيئة الكتاب، القاهرة، مصر، د. ت.
36. قضايا الشعر المعاصر: أحمد زكي أبو شادي، ط1، الشركة العربية للطباعة، القاهرة، مصر، 1959 م.
37. لماذا خفت صوت القراءة: حسين حموي، مجلة الموقف الأدبي، ع420، نيسان 2006، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.
38. ما الأدب: جان بول سارتر، ترجمة وتقديم وتعليق الدكتور محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مصر، د. ت.
39. ماذا يقرأ عرب اليوم؟ : أشرف بكر، ط1، مركز الراهة للآتمية الفكرية، دمشق، سوريا، 1427 هـ / 2006 م.
40. المربرد محاصرأ: شوقي بغداداي، مجلة الموقف الأدبي، ع347، آذار 2000، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.
41. مع الشعراء: الدكتور زكي نجيب محمود، ط2، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1400 هـ / 1980 م.

42. مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر: الدكتور فائق علاق، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005 م.
43. مقدمة في الشعر: جاكوب كرج، الموسوعة الثقافية (5)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 2004 م.
44. مقدمة في النظرية الأدبية: تيري إيغلتن، ترجمة إبراهيم جاسم العلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1990 م.
45. مواقف سلبية من الشعر والشعراء: د. حسين عبود حميد، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، ع50، 2007 م، العراق.
46. مواقف في اللغة والأدب والفكر: محمد مبارك، مطبعة الرأي الجديد، بيروت، لبنان، 1974 م.
47. الموجز في تدريس اللغة العربية وآدابها (ج 2): محمود أحمد السيد، ط1، دار العودة، بيروت، لبنان، 1980 م.
48. موقع إتحاد الكتاب العرب. <http://www.awu-dam.org>
49. موقع إتحاد كتاب الأنترنت العرب. <http://www.arab-ewriters.com>
50. موقع جامعة البصرة. <http://www.basrahuniv.com>
51. موقع جامعة الموصل. <http://www.uomosul.edu.iq>
52. موقع دار البلاغ. <http://www.daralbalagh.com/catalog>
53. موقع دار الشروق. <http://www.shorouk.com>
54. موقع دار العلم للملايين. <http://www.malayin.com>
55. موقع مكتبة الفرات. <http://www.furat.com>
56. موقع مكتبة النيل والفرات. <http://www.neelwafurat.com>

57. النار والجوهر: جبرا إبراهيم جبرا، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1982 م.
58. النظرية الأدبية المعاصرة: رمان سلدن ترجمة سعيد الغانمي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1996 م.
59. النقد الثقافي . قراءة في الأنساق الثقافية العربية: عبد الله الغزامي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2001
60. هل الشعر مهم؟ واقع الشعر الأمريكي ومستقبله: دانا جيوي، ترجمة غازي مسعود، مجلة الأقلام، ع4، تموز وآب 2000 م، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق.